روايات عالمية

من الشرق والغرب

البعوض



روايات عالمية

العدد رقم ٢٨٦

البعوض

تأليف وليم فولكنر

تعريب دكتور جمال الدين الرمادي

وليـــم فولـــكنر

● ولد وليم فولكنر فى ٢٥ من سبتمبر عام ١٨٩٧ فى ولاية مسيسبى .

● التحق فترة قصيرة بجامعة المسيسبى .

● التحق بالســـــلاح الجوى فى الحـرب العالمية الأولى .

● عاش فترة من الوقت فى نيواورليانز بولاية لويزيانا حيث اتصل بالكاتب الأمريكى المعـــروف « شرويد اندرسون » .

● ظفر بجـــائزة نوبل فى الادب عام ١٥٩٠ .

« البعــــوض »

● من أهم اعماله الأدبية قصة « البعوض و رواتب الجنود والصوت والغضب والمعبد وغريب فى الطين وهاملت وسرتوس » .

● استمد قصصه من حياته الخاصة ، حيث عمل فترة من الوقت صيادا للاسماك ، كما اشتغل نجارا وصائدا للطيـــور فى أوقات فراغه .

● من أشهر أقواله الأدبية : ليس شرطا ان يعتزل الأديب العالم لكى ينتج مادة طيبة ، فالمادة الجيدة جيدة فى اى مكان ، والموضوعات الجيدة لابد ان تشق طريقها الى الرواج .

● كما قـــال وليـم فولكنـــر :

لابد للأديب فى بداية عهده بالكتابة ، قبل أن يصيب نجـــاحا من عمل آخر ، يكتسب منه عيشه .

وقـــال كـــذلك :

ان التزام نظام معين فى الانتـــاج الأدبى يجرد هذا العمـــل من المتعة التى لاغنى عنها .

● توفى فى ٦ من يوليو عام ١٩٦٢ عن خمسة وستين عاما .

- ١ -

قال مستر تاليافيرو :

ــ ان الطبيعــــة البشرية قــوية عندى ، ولا يمكن أن تقوم الصداقات الا عليها .

فأجاب صــــــاحبه :

ــ نعم هذا حسن .. هل تتفضل بالابتعاد قليلا .

واستجاب تاليافيرو لهذا الطلب وراح ينظر الى الغبــار الذى عــــلا حذاءه ..

وقال محــــــدثا نفسه :

ــ يجب على المــرء أن يدفـــع ثمنــا للأدب .

واخذ يراقب صاحبه ثم استأنف كلامه :

ــ ان الصراحة تدفعنى الى القول بأن الطبيعــة البشرية هى الشىء الذى يسيطر على نفسى .

واعتقد تاليافيرو ان الكلام مع شخص يوازيه من حيث الذكاء والنضج العقلى قد يدفعه الى الافضاء بكثير من الحقائق عن النفس مما لايمكن نشرهــا .

وقال صـــــــاحبه مرة اخرى :

ــ هـــــــذا حســـــن ..

فقال تاليافيرو بسرعة :

ــ العفـــــــو ..

ثم استعاد توازنه ، وانتقــــل الى مكان بعيد ، وراح يضرب كفــــا بكف .

غير أن صاحبه تجـــاهله تماما .

وقد بدت « نيواورليانز » عبر النافذة فى صورة قاتمة باهتة تشبه غانية لاتزال تحتفظ بمسحة من جمالها .

وقد جلست فى الغـــرفة وتعالت فيها سحب الدخان .

وكان الصيف يخيم على المدينة بحرارته بعد انقضاء فصل الربيع ، وعما قريب سيحل شهر اغسطس ومن بعده سبتمبر — غير أن شباب مستر تاليافيرو لم يعد يشغل باله .

وكانت أرض الغرفة مؤلفة من الواح خشبية ليست مستقيمة وفيها جدران ملونة ، بطريقة بشعة ، ويتخللها نوافذ جميلة ، ولابد أن يكون قد عاش في هذه الغرفة عبيد خدموا بكرامة . ولكنهم الآن انتقلوا الى دار الخلود .

وقليل من الناس يقبلون الخدمة دون المساس بكرامتهم .

وما يجذب الاهتمام في هذه الغرفة هو انك ترى جسد الفتاة من الرخام بدون رأس ، أو يدين أو ساقين .

ولا يستطيع المرء أن يحول نظره عنه .

وراح صاحب المنزل المثال يضع اللمسات الأخيرة على التمثال ثم نهض واقفا وراح يحرك يديه وعضلاته .

وخفت الضوء ..

وكان ينتظر انتهاء المثال من عمله .

ونهض تاليافيرو ونظر الى صاحبه بوجه كالصقر .

وأبدى تاليافيرو أسفه لأن كم معطفه ازعج صاحبه وقال :

— هل أخبر السيدة مورير بأنك قادم .

فقال الآخر :

— ماذا ؟ ياللجحيم .. ان أمامي عملا لابد من القيام به ، واخبرها بأنني لا أستطيع الحضور ؟ .

واصيب تاليافيرو بخيبة أمل وتناول كوب الماء ، وارتشف منه قليلا .

فقال صاحبه :

— ساحضر في وقت آخر ، انني مشغول جدا ، وأنا آسف .

وبدأ صاحب المنزل يستعد للخروج ، فأخذ تاليافيرو قبعته بدوره وقال :

— انتظر .. سارافقك .

فتوقف الآخـــر وقال :

ــ انني ذاهب .

فقال تاليـــافيرو :

ــ حسنا .. انني استطيع العودة الى هنا على كل حال .

فقال الآخـــر :

ــ أفي هــــذا ما يزعجك ؟

فقال تاليافيرو :

ــ لا ياعزيزى .. يسرنى أن أعـــود .

فقال الآخـــر :

ــ حسنا اذا كنت تعرف أن هذا لايسبب لك تعبا ، احضر لى زجاجة لبن من البقال الموجود قـرب الناصية .

وهاك الزجاجة الفارغة .

وامسك تاليافيرو بالزجاجة وراح يراقب صاحبه وهو يهبط من السـلم .

ــ ٢ ــ

وهبط تاليافيرو من السلم فشاهد اثنين من الناس يقبل أحدهما الآخر ، فاسرع الى الشـــارع .

وكان الطريق خاليا من المارة . وكان الجو باردا فأشعل تاليافيرو لفافة ، وابتلعه الظلام .

وفى الشارع وضع تاليافيرو الزجاجة تحت معطفه ، وتعب من حملها ، وراح يفكر فى تحطيمها ، ولكنه لم يفعل ذلك .

ووقف مترددا لايدرى ماذا يفعـــل .

وكان ميدان « اندرو جاكسون » مضاء بالانوار ، والكاتدرائيـــة تطل على المكان ، وكانت الأشجار الباسقة منتشرة فى المنطقة .

ولم يكن الشارع يضم احدا من الناس فيران ضجة «الترولى» كانت تسمع من شارع « رويال » .

وامسك تاليافيرو بالزجاجة ، وشعر انه كأحد المجرمين .

فأسرع الخطى ، ومر بالمخازن وقد جلس أصحابها مع عائلاتهم، وراحت السيدات ترعين الأطفـــال .

ووصل تاليافيرو الى منتصف الطريق .

وكان شارع رويال يتفرع الى طريقين .

فأسرع صاحبنا الى البقال عند الناصية .

فمر بصاحب الحانوت الايطالى وهو يجلس أمام دكانه .

وطلب تاليافيرو زجاجة لبن من البقال واعطاه الزجاجة الفارغة، فناوله الزجاجة من الثلاجة .

فاخذها تاليافيرو واسرع الى الشارع ، ولكنه وقف كالمذهول عندما شاهد السيدة « موربر » وبرفقتها فتاة نحيفة الجسم.

فقـــالت الســـــيدة موربر :

ـ ياللمفاجأة ! اهذا انت ؟! يامستر تاليافيرو .

فصافحها دون أن يرفع قبعته .

فقالت :

ـ ما كنت اتوقع رؤيتك فى هذه الناصية ! فى تلك الســـاعة ! ولكننى أعتقد انك كنت فى زيارة أحد أصدقائك الفنانين .

اليس كذلك ؟ ! .

فتوقفت الفتاة وراحت تتطلع الى مستر تاليافيرو دون اكتراث.

ونظرت اليها الســـــيدة موربر وقالت :

ـ ان مستر تاليافيرو يعرف جميع كبار الشخصيات فى الحى يا عزيزتى ! . انه يعرف كبار الفنانين . أرجو أن تعذرنى يا مستر تاليافيرو فهذه هى ابنة شقيقى .. الآنسة روبين التى سمعتنى اتحدث عنها .

لقد حضرت هى وشقيقها لتسليتى .

فقال مستر تاليافيرو :

ـ هذا هـــراء ، فنحن ـ المعجبين التاعسين ـ بحـــاجة الى التسلية .

ربما تشـــفق الآنسة روبين علينا ايضـــا ؟.

وانحنى تاليافيرو للفتاة بصورة رسمية ، ولكنها لم تبد أى حماس .

فنظرت موريو نحوها وقالت :

ـ ياعزيزتى ، انه مثال الشهامة بين رجالنا فى الجنوب .. هل تتصورين رجلا فى شيكاغو يقول هذه الكلمات .

فقـــالت الفتــــاة :

ـ لا .. لايوجد مثل ذلك .

فقـــالت العمة مسز موريو :

ـ لهذا السبب كنت أتوق أن تحضر روبين باتريشيا لزيارتى لتجتمع بأشخاص من أمثـــالك .

ـ أليس هــــذا رائعا !! ..

وانحنى تاليافيرو مرة ثانية وأوشكت الزجاجة أن تقع من يده وقـــال ..

ـ انهــــا رائعـــة !.

فقالت مسز موريو .

ـ ولكنى مندهشة من وجودك هنــا فى هذه الساعة ، واعتقد أنك مندهش لرؤيتنا هنــا . أليس كذلك ؟ .

ولكننى عثرت على شيء مدهش جدا ، انظراليه يامستر تاليافيرو ، أريد رأيك ، وقدمت له مسز موريو لوحة من الرصاص عليها رسم السيدة العذراء ، ووجهها يعبر عن دهشة بريئة . تشبه مايرتسم على وجه السيدة موريو وتحمل طفلها ، واخذ تاليافيرو يطل الى اللوحة فقالت له السيد موريو :

ـ انظر اليها على ضوء المصــــباح .

وتساقطت قطرات العرق من وجهه ، فقالت له الفتاة :

ـ دعنى آخذعنك ما معك .

وتقـــدمت مسرعة .. وأخذت الزجاجة وصاحت :

ـ أوه ..

وأوشكت الزجاجة أن تقع من يديها .
فقالت عمتهـــــا :
ـ ماذا ؟ هل كشفت شيئا آخر ؟ لاشك أن ماكشفته أفضل مما معي .
آه لو كنت رجلا ، لاستطعت أن أجوب الجوانيت طوال النهار، واكشف اشياء عدة ، أرنا ما معك يا مستر تاليافيرو .
فقالت الفتاة :
ـ انهـــا زجاجة لبن .
وراحت تتفحص وجه تاليــــافيرو .
فصاحت العمة « موريو » وقالت :
ـ زجاجة لبن ؟ هل أصبحت فنـــانا ؟.
ولأول ولآخر مرة في حياته تمنى مستر تاليافيرو الموت لاحدى السـيدات .. ولكنه كان انسانا مهـذبا فضحك ضحكة باهتة وقـال :
ـ فنان !؟ انك تبالغين فى اطرائى ياسيدتى ! أخشى أن أقـول اننى لا أصبو الى ذلك .
اننى قانع بأن أكون ....
فقالت الفتاة :
ـ بائع لبـــن ؟.
وتنهدت السيدة موريو بدهشة وقالت :
ـ آه يامستر تاليافيرو ، لقد أصابتنى خيبة الأمل ، لقد كنت آمل أن يقنعك أحد أصدقائك الفنانين بأن تقدم الى العالم شـيئا من الفن .
لا تقل انك لا تستطيع ذلك . فأنا على يقين من انك تستطيع .. آه لو كنت رجلا لأمارس الفن والانتاج الفنى .. ولـكن هل هى زجاجة لبن حقا يا مستر تاليافيرو ؟ .
فقال تاليـــافيرو :
ـ انها لصديقى جوردن ، لقد زرته ظهر اليوم ووجدته مشغولا فاسرعت لاحضر له زجاجة لبن من أجل العشاء .

يالهؤلاء الفنانين ! انك تعرفين حياتهم ! »
فقـــالت :
ـ حقا انه نابغة يمارس عمله بجد ؟ أليس كذلك ؟ »
وربما كنت على حق لأنك لم تمارس هذه المهنة ، انها طريق طويل موحش ولكن كيف حال مستر جوردن ؟ »

انني جد مشغولة بحيث لا اجول في الحي كثيرا كما ينبغي .
لقد وعدت مستر « جوردن » بزيارته وان ادعوه الى العشاء، انني واثقة انه يعتقد انني نسيته ... أخبره بأنني لم أنسه بعد ...
فقال تاليـــافيرو :

ـ انني على يقين من أنه يدرك مدى انشغالك بالزيارات .
لاتجعلي هذا يزعجك ... »
فقالت الفتاة روبين :
ـ لنـــذهب . »
وقالت العمـــة مورين :
ـ أين اصدقاؤك الذين سيذهبون في اليخت ؟ هل سـلمت الدعوة الى مستر جوردن ؟ »
فقال تاليـــافيرو :
ـ انه مشغول جـداً »
فقالت العمة مورين :
ـ آه انك لم تخبره بأنني دعوته الى الحفـل ... ياللعار ! اذن يجب أن أخبره أنا نفسي بعد أن خذلتني . »
فقال تاليـــافيرو :
ـ لا ... لم أفعل . »
فقالت العمة مورين :
ـ ارجو صفحك يامستر تاليافيرو ، انني لا أعني أن أكون قاسية .. يسرني انك لم تدعه ، فهو خجول ذو اتجاهات فنيـة . يجب أن نذهب ياعزيزي ! .. هل ترافقني ؟ »

فقال تاليـــافيرو :

ـ شكرا ، يجب أن آخذ اللبن الى « جوردن » وأنا مرتبط الليلة .

فقالت العمة :

ـ كن حريصا فى كلامك يامستر تاليافيرو .. سنتوجه معك الى منزل مستر جوردن وندعوه لحضور الحفـل .

ـ ٣ ـ

وفى الطريق توقفت عربة السيدة « مورير » ونزل الســائق لاصلاحها . وراح تاليافيرو يفحص زجاجة اللبن ثم يمنى نفســـه بالحصول على عربة فى العام القادم .

وجلست الفتاة فى زاوية السيارة على حين راح تاليـــافيرو يراقبها . وتمنى طول الرحلة .

وصلت السيارة الى المنزل ، وقال تاليافيرو :

ـ سأصـــعد وأدعوه .

فقالت مورير :

ـ لا .. سنصعد جميعا . أريد من روبين باتريشيا أن تشاهد النبوغ فى المنـــزل .

فقالت الفتاة :

ـ لا سأنتظر فى الســـيارة .

فقال تاليـــافيرو :

ـ انه لشىء مثير ان نرى كيف يعيش الفنـــانون .

ثم هبط الجميع وصعدوا الى المنزل .

وقرع تاليافيرو الباب .

فقال جوردن :

ـ هل عدت ياتاليافيرو ؟

وكان الضوء يتلألأ على وجهه .

فقال تاليافيرو :

ــ لقد حضر ضيوف لزيارتك .

وقطعت مسز مورين الصمت قائلة :

ــ كيف حالك يامستر جوردن ؟ أرجو أن تصفح عنا لدخولنا على هذه الصورة المفاجئة !.

وروت مورين لمستر جوردن كيف قابلت مستر تاليافيرو فى الشارع .. ثم قالت وهى تقلب نظرها فى الغرفة وتشاهد الآثار الفنية الموجودة فى الغرفة .

ــ ان أعمالك رائعة .. يا للنبوغ !.. لقد كنت أتوق أن ترى « باتريشيا » استديو حقيقيا حيث يعمل فيه فنان حقيقى .. دعينى أقدم لك ياباتريشيا مثالا حقيقيا ، ونحن ننتظر منه أشياء كبيرة ياعزيزتى !.

فاضطربت الفتاة ، ثم أدارت رأسها دون أن تنظر الى مستر « جوردن » .

ومد المستر جوردن يده ..

وقالت العمة مورين :

ــ كنت أعتزم على زيارة استديو مسترجوردن منذ زمن طويل كما تعلم ، لذا انتهز هذه الفرصة لأقوم بزيارته .. هل تمانع يامستر جوردن ؟.

فقال مستر جوردن :

ــ تفضلى ، ان مستر تاليافيرو يستطيع أن يريك المكان .

ثم تطلع جوردن الى الفتاة وسألها :

ــ كم عمرك ؟

فأجابت :

ــ ١٨ عاما اذا كان هذا يهمك .

ثم قالت له :

ــ ان هذا التمثال يعجبنى ، فهو يشبهنى تماما ، وأتمنى لو حصلت عليه .

فقـــال :

ـ لا استطيع أن أقـــدمه إليك »

فقالت :

ـ انني اثق في ذلك »

فقال جوردن :

ـ ولكنى لا احتاج اليه بعـد غد »

فقالت باتريشـــيا :

ـ هل استطيع الحصول على تمثال رائع مثله اذا كنت في حاجة الى هذا التمثال ؟»

فقال جوردن :

ـ بكل سهولة يمكنك الحصول على هذا التمثال غدا ، اليس هذا قصـــدك ؟»

فقالت باتريشـــيا :

ـ انه من الرخـــام الاســـود »

فقـــال جـــوردن :

ـ اســـــــود ؟»

فقـــالت باتريشـــيا :

ـ انه اسود ولكنى لا اعرف المادة التى صنع منها ؟ انه يوحى بالارواح .

فقـــال جـــوردن :

ـ وكذلك انا ؟.. اسالى عمتك ، يبدو انها على علم بالأرواح »

فقال باتريشـــيا :

ـ سلها انت نفسك ...»

فقالت العمة نورين :

ـ انه لتمثال رائع ، ترى علام يدل يامستر جوردن ؟»

فقالت الفتاة باتريشـــيا :

ـ لاشيء ياعمتى »

فقـــال تاليـــافيرو :

ـ ليس من الضرورى أن يدل على شيء ، يجب أن تقبله كماهو »

فقال جـــوردن :

ـ انه مثـال الأنثى عندى ؟ عذراء بدون أرجل كى لاتتركني؟ وبدون أيد فلا تمسكني ، وبدون رأس كى لاتتحدث الى .

فقالت السيدة موريز :

ـ هل تدرى سبب حضورنا فى هذه الساعة المتأخرة ، لقد جئنا لندعوك الى نزهة فى يخت لكى نقضى بضـمة أيام قـرب البحيرة .

فقاله جوردن :

ـ لقد اخبرنى تاليافيرو بذلك . ولكننى آسف ، اذ لن أتمكن من الحضـــور .

فنظرت السيدة موريز نحو تاليافيرو وقالت :

ـ ألم تخبرنا بأنك لم تذكر له أنباء الرحلة ؟ .

فقـال تاليافيرو :

ـ لقد كنت أريد منك أن توجهى أنت نفسك الدعوة اليه ، ولم أكن اقصد شيئا ، ان الحفل لن يكتمل الا بك يامستر جوردن ، واعتقد ان قرارك ليس نهـــائيا .

وفجأة قالت السيدة موريز :

ـ لنذهب الى منزلى لنتناول طعام العشاء ، ثم نبحث المسألة فى هدوء .

فقـــال تاليافيرو :

ـ اننى مرتبط بعمل مساء اليوم كما اخبرتك من قبل .

ثم قال جوردن للفتاة :

ـ هل ستكونين هناك ؟ .

فقالت روبين باتريشـــيا :

ـ نعم ! ولكننى سأتوجه الآن الى النوم مباشرة ! .

فقال جوردن :

ـ آسف لن أذهب فلدى عمــل .

ثم تراجع جوردن وذهب لاستبدال ملابسه .

وهنا قالت الفتاة :

ـ أعتقد انه لن يرجع .

وصاحت العمـــة :

ـ لن يرجـــــع ؟.
فقالت الفتـــاة :
لو كنت مكانه ما رجعت ..
فقال تاليافيرو :
ـ سأذهب لأبحث عنه .
وعاد تاليافيرو بعـــدلحظة وقال !
ـ لقد دعى جوردن الى مكان ما ، وطلب منى أن أعتذر لكم وهـــو يأســـف لرحيـــله المفـــاجىء .
ثم نهضت الســـــيدة مورير وقدمت يدها مستر تاليافيرو وقالت :
ـ ستزورنى أنت .. أليس كذلك ؟.
وداعبته قائلة :
ـ يا دون جوان ..!
فضحك تاليافيرو مسروراً .
وقالت له الفتاة روبين باتريشيا !
ـ طاب مساؤك يا مستر تارفو .
وذهبت العمة مع الفتاة ، وقالت العمة لها فى السيارة !
ـ ان مستر تاليافيرو له مكانة كبيرة .
فقالت الفتاة :
ـ نعم ارى ذلك .

ـ ٤ ـ

ولقد تزوج مستر تاليا فيرو من فتاة حسناء ، وهو الآن فى الثامنة والثلاثين من عمره ، وقد توفيت زوجته منذ ثمانى سنوات .
وكان له عدد من الأخوة شغلوا مناصب عـدة من التدريس فى كلية « كنساس » الى المجلس التشريعى فى الولاية .
ونشأ تاليافيرو نشـــاة غير طبيعية اضـــطرته الطبيعة الى فعل اشياء رغما عنه .
وكان سليم الجسم لم تصبه أمراض فى حياته .

ودفعه الزواج الى العمل ، وصادف حياة شاقة تنقل خلالها من عمل الى آخر حتى وصل الى اتباع أساليب ملتوية للحصول على المال قبل أن يعمل فى احدى المحال الكبرى .

وقد شعر انه حقق ما يريد أخيرا ، فقد كان يشعر بالراحة فى التعامل مع الناس حتى أصبح مدير المبيعات بالجملة .

وأصبح يلم بكثير من الأمور التى تهم النساء ، وظل مخلصا لزوجته مع انها لم تكن تغادر المنزل .

وعندما تحسنت الأمور ، وبدأ مركزه يرتفع توفيت زوجته .. وكان قد أصبح متعلقا بها ، الا أنه مع مرور الأيام اعتاد الحرية بعد أن تزوج صغيرا ولم يعرف الحرية مطلقا .

وطاف مستر تاليافيرو فى أوربا مدة واحد وأربعين يوما ، وعاد الى «نيو أورليانز» وهو يشعر بأنه قد نضج واكتمل .. ولكنه كان يخشى أن يكتشف أحد انه ولد باسم « تارفر » وليس تاليافيرو ..

— ٥ —

توجه مستر تاليافيرو الى مطعم مجاور فشاهد صديقه الروائى « دوش فيرتشايلد » وكان معه لفيف من الأصدقاء ، فانضم اليهم ، وكانوا جميعا من معارفه الا المستر هوبر ، وتطلع مستر تاليافيرو الى الجالسين ، فقال أحدهم :

— اتذكرنى يا سيدى ؟.

فقال تاليا فيرو :

— لا أدرى ..

فقال الرجل :

— الم تقابلنى عندما كنت تتناول الغداء ؟.

فأجاب تاليافيرو :

ـ اننى لا اتناول سوى كوب من اللبن عند الظهر ، فانا لا اتناول طعام الفطور مبكرا .. وربما كنت تحسبنى شخصا آخر .

واحضر الجرسون ما طلبه المستر تاليافيرو ، فراح يلتهم طعامه بدون ارتياح ..

فقال تاليافيرو :

ـ انا عضو فى نادى الروتارى .

فقال فير تشايلد :

ـ الم تسمعوا من قبل ان تاليافيرو عضو فى نادى الروتارى ؟ اننى اذكر ان احد الاشخاص اخبرنى بذلك ، ولابد انكم تعرفون كيف تسرى الشائعات ، وربما يعزى ذلك الى ان تاليافيرو رجل له مكانته فى ميدان الاعمال .. ان مستر تاليافيرو يعمل فى احد البيوت التجارية الكبرى وهو ذو مكانة عظيمة فى الاعمال التجارية .. اخبرهم يا تاليافيرو باسم الشركة .

فقال تاليافيرو معترضا :

ـ كلا ..

فقال احد الجالسين :

ـ ليس هناك افضل من نادى الروتارى ، وقد اخبرنا مستر فير تشايلد بانك عضو فى هذا النادى .

ثم انفض المجلس وغادر تاليافيرو المكان وانصرف .

ـ ٦ ـ

قال فيرتشايلد :

ـ ليكن هذا درسا لكم ايها الشباب ، فهذا ما سيحدث لكم اذا اعتدتم امورا معينة ، فمتى انضم الانسان الى احد الاندية او الجمعيات ، فان صلته الروحية تبدأ بالانحلال .

ان الشباب قد ينضم الى اندية كهذه لانها تنادى بمثل عليا . والشباب يصدق هذه المثل فى ذلك الحين . ومتى تقدمت السن بالانسان فانه يصبح اكثر تعقلا .

وقال احد الجالسين :

ــ لقد كثرت الجمعيات والنوادى فى الوقت الحاضر بشكل ملحوظ . ثم تطور الحديث الى الكلام عن الدين والعقيدة الا أن تاليافيرو لم يلبث أن آثر عدم الخوض فيه .

وقال تاليافيرو مقاطعا :

ــ لقد شاهدت جوردن اليوم ، وحاولت اقناعه لكى يرافقنا فى رحلة الغد ولـكنه رفض .

فقال فيرتشايلد :

ــ اعتقد انه سيحضر ..

وروى لهم تاليافيرو ماحـدث فى منـزل جوردن .

ثم قال :

ــ يجب أن يذهب معنا جوردن . اعتقد انكم ستساعدوننى فى اقناعه .

فقال فيرتشايلد :

ــ أرى عدم ضرورة تدخلى .

فقال احد الجالسين :

ــ هل انا مدعو للاشتراك فى الرحلة ؟.

فقال تاليافيرو :

ــ بالطبع نعم فانت شـاعر .. وتضم الرحلة رساما وروائيا وشـاعرا ..

فقال رجل يرجع الى أصل سامى :

ــ أعتقد ان الرحلة تحتـاج الى جوردن .

- ٧ -

وغادر الجميع المكان فذهب فيرتشايلد مع صاحبه «يوليوس» السامى يطوفان الشوارع وفجاة قابلا جوردن هائما على وجهه .

فقال له فيرتشايلد :

ــ هل عدلت عن رأيك ، وقـررت الذهاب معنـا فى يخت السيدة « موريز » غدا . لقد قابلنا تاليافيرو .

فقال جوردن مقاطعا :

ــ نعم لقد غيرت رايى .

فقال فيرتشايلد بحماس :

ــ هذا رائع ، انك لن تأسف على ذلك كثيرا . انه سيستمتع بالرحلة من غير شــك يا يوليوس .. ان الانسان لا يستطيع ان يتجاهل الناس ، ويعيش منعزلا عنهم وخاصة اذا كان لديهم طعام وسيارات .

ووافق «يوليوس» الرجــل السامى على ذلك وايد فيرتشايلد فى قوله .. ثم قال :

ــ اذن فهل ستحضر معنا يا جوردن ..

فقال جوردن :

ــ نعم انى قادم .. الست قادما يا فيرتشايلد ؟

فقال فيرتشايلد :

ــ ليس الليلة ، سأتصل بمسز موريو تليفونيا ، واجعلها ترسل سيارتها لك غدا ، هلم بنا يا يوليوس ، طاب مساؤك يا جوردن !

وتوجه الاثنان نحو الشــاطىء ، واجتازا شوارع مظلمة ..

فقال السامى يوليوس :

ــ انه شخص لطيف .

فقال فيرتشايلد :

ــ ينبغى ان يخرج من عــزلته ، فهو لا يستطيع ان يعمل فى الفن طوال الوقت ..

ثم اجتاز الاثنان مخزن البضائع الى رصيف الميناء حيث كان السكون والمــاء والظلام .

اليوم الأول

الساعة العاشرة

بدأ الجميع يستعدون للرحيل ، والسعادة تغمرهم ، ووقفت عربة السيدة مورين أمام المنزل لتنقل الأمتعة وحاجيات الرحلة .

وكانت السيدة « مورين » ترتدى قبعة البحر ، وهى تشعر بسعادة عارمة .. وعند رصيف الميناء صعد الجميع الى اليخت ، وجلسوا على كراسى اعدها الخادم لهم على ظهر اليخت ..

وكان معهم شاب شاعر ينظم أبياتا فى المناسبات ليذكر الانسان بجدوى الراحة والهدوء .

وجلست السيدة « وايزمان » والآنسة « جيمسسون » الى جانب المستر تاليافيرو وقد اشعلتا لفافتى تبغ .

وقد نزل فيرتشايلد وجوردن ويوليوس السامى وشخص آخر الى قاع اليخت .

وراحت السيدة مورين تسأل :

ـ هل نحن جميعا هنا ؟ .

ووقفت الى جانبها ابنة أخيها الجميلة ، وفتاة شقراء بملابس خضراء اللون ..

وقالت الفتاة الأولى عندما شاهدتا شابا على الشاطىء يدخن سيجارا :

ـ ماذا به ؟ لماذا لا يأتى الى هنا ؟ ..

ثم قالت الفتاة الأولى روبين باتريشيا :

ـ ما اسمه ؟ .

فقالت الفتاة الشقراء :

ـ اسمه بيت .

فرفع الشاب قبعته فاشارت الفتاة له وقالت :

ـ ألست قادما معنا ؟ .

فأجاب الشاب :

ـ ماذا تقولين ؟ .

فقالت باتريشيا :

ـ هلم الى ظهر اليخت يا بيت ..

فاقبل الفتى .. وهنا علت الدهشة ملامح مسز مورين ..
فتحاشاها بادي ..

فسألته مسز مورين :

ـ هل أنت رئيس العمال الجديد ؟.

فقال موافقا :

ـ نعم .. يا سيدتي .

وتطلع اليه بقية الضيوف وهو يتجه نحو الفتاتين ..
وحملقت السيدة «مورين» في وجه الفتاة الشقراء التي قالت :

ـ لست أنا .. بل هي باتريشيا ..

فقالت باتريشيا :

ـ نعم .. هذا صحيح ..

ثم نظرت نحو الفتاة ثم سألتها مسز مورين :

ـ ما اسمك الحقيقي يا جيني ؟.

فقالت الفتاة الشقراء :

ـ اسمي جنفياف ستينبون .

فقالت باتريشيا :

ـ هذه هي الآنسة ستينبور ، وهذا هو بيت .
لقد قابلتهما هناك ويريدان الذهاب معنا .

وقالت العمة مسز مورين بعد فترة :

ـ هل نحن جميعا هنا ؟.

ونسيت أمر جيني وبيت وقالت :

ـ أين مستر فيرتشايلد ؟.

وكان اليخت على وشك مغادرة رصيف الميناء فأسرعت تنادي
السائق بالوقوف ..

وقالت السيدة وايزمان :

ـ انه هنا لقد حضر مع أرنست .

ونهض مستر تاليافيرو .. فزالت الدهشـــة من وجه السيدة مورير ..

ثم أقلع اليخت « نويزاكا » .

وجلست باتريشيا تخلع جواربها وقالت :

ـ ها قد حضر جوشن .

فبهتت العمـــة اذ رأت سيارتها الثانية وقد هبط منها ابن أخيها مسرعا فألقى له بيت حبلا فتعلق به وصعد الى اليخت .

الساعة الحادية عشرة

وجلس الجميع على ظهـر اليخت باسترخاء ، وراحوا يتطلع بعضهم الى بعض ، وينتظرون الفطور الا جينى وبيت فقد وقفا قرب حاجز اليخت .

وشاهدتهما السيدة « مورير » فاعترتها دهشة غريبةواسرعت الى ابنة اخيها قائلة :

ـ ما الذى جعلك تدعين هذين الشخصين الى الرحلة .

فقالت باتريشيا :

ـ الله يعلم .. اذا اردت أن تعيديهما الى الشاطىء فافعلي .

فقالت العمة مورير :

ـ ولـكن لـماذا طلبت منهما ذلك ؟.

فقالت باتريشيا :

ـ لا أعلم ولـكنك قلت انه لايوجد عدد كاف من السيدات .

فقالت العمة .

ـ ولـكن متى تعرفت عليهما ؟.

فقالت باتريشيا :

ـ كنت اشترى ملابس البحر عندما قابلت «جينى» هنـاك فأبدت رغبتها فى الحضور ، وأما الآخر فكان ينتظرها وقال :

ـ انها لن تذهب دونه .

فقالت العمة :

ـ هل تعنين انك لم تعرفيهما من قبل ؟.

فقالت باتريشيا !

ـ لقد طلبت منى جينى ذلك . وكان لابد من حضور الآخر لكى تتمكن هى من مرافقتنا ..

الساعة الواحدة

ووضع طعام الفطور على المائدة ، وطلبت السيدة موريو من ضيوفها ان يجلسوا كيفما شاءوا ..

ثم قالت :

ـ يجب أن تجلس السيدات فى جانب والرجال فى جانب آخر ..

وجلست موريو مع السيدة وايزمان والآنسة جيمسون وجينى .. وكان بيت يقف وراء باتريشيا .

اما تاليافيرو فقد جلس مع ابن شقيق السيدة موريو ..

وسألت السيدة موريو عن بقية الضيوف .

فقال بيت :

ـ لقد ذهبوا الى سطح اليخت .

فاعادت السؤال من جديد ..

فأجاب ابن أخيها بقوله :

ـ انتظرى لحظة قبل أن تسألى .

ثم قال لأخته باتريشيا :

ـ من هم ضيوفك ؟.

وعاد الى تناول الفاكهة ..

فقالت عمته : تيودور .. ماذا يفعلون فى قاع اليخت ؟.

وكانت ترتفع اصوات من قاع اليخت .

فقالت تاليافيرو :

ـ هل تسمحين لى باستطلاع جلية الأمر ؟.

فقالت باتريشيا :

ـ ليذهب كبير الخدم ودعونا ناكل .

فقال اخوها تيودون :

ـ سأذهب انا .

فنادته العمة وقالت :

ـ هل تسمح يا مستر تاليافيرو باستطلاع الأمر ؟

فاسرع المستر تاليافيرو الى قاع اليخت .

وبعد لحظة اقبل الجميع يتقدمهم «فيرتشايلد» .

وقال فيرتشايلد معتذرا :

ـ لقد كنا نساعد الكابتن « ايريس » فى البحث عن اسنانه اذ سقطت من فمه ! .

فقالت العمة :

ـ ساصفح عنكم هذه المرة .

ثم جلس مستر تاليافيرو الى جانب السيدة « مورين » على حين جلس جوردن بين السيدة مورين وابن اخيها .

وابتسمت له السيدة مورين وقالت :

ـ أيها السادة ، ان مستر تاليافيرو سيقرأ عليكم بلاغا خاصا بسرعة اليخت .

فقال تاليافيرو :

ـ أيها الســادة .. لقد أوشــك أن يفوتكم طعام الفطور ؛ فموعده الساعة الثانية عشر والنصف .

ويجب الا تنسوا هـذا الموعد ، فالنظام مطلوب فى السفينة كما تعلمون .

وقالت السيدة مورين :

ـ كونوا رقيقى الطبع وتعالوا .

وتطلعت حولها فوجدت مكانا خاليا فساورها القلق ؛ وراح الجميع ينظر بعضهم الى بعض .

وقالت الآنسة جيمسون :

ـ انه مكان مارك ؟ اليس كذلك ؟ لقد نسينا مارك !

فأوفدت السيدة موربن كبير الخدم ليبحث عنه ، فوجد الشاعر لازال فوق سطح اليخت .

فقال تاليافيرو :

ـ لقد قلقنا بشأنك يا عزيزى .

فقال الشاعر مارك ببرود :

ـ لقد كنت أتساءل عن موعد الفطور .

ودقت السيدة « موربن » الجرس فاقبل الخادم ، ورفع صحائف الطعام وجاء بغيرها .

وسأل احدهم السيدة وايزمان عمن يكون المستر تاليافيرو ومن صناعته .

فقالت وايزمان :

ـ انه يبيع حاجيات فى جنوب المدينة ، أليس كذلك يا يوليوس ؟

فنظر اليها يوليوس :

فقال أحدهم :

ـ اننى أسأل عن جنسه وعنصره .

فقالت وايزمان :

ـ هل لاحظت اللكنة التى يتحدث بها ؟

فقال الرجل :

ـ نعم اننى أرى انه لا يتكلم كالامريكيين ، وأعتقد انه من أهل البلد .

فقالت :

ـ من أبناء البلد ؟

فقال :

ـ أعنى انه من الهنود الحمر .

الساعة الثانية

ووضعت السيدة « موربن » حداً لطعام الفطور ، وراحت تفكر فيما لو استطاعت أن تجعلهم يلعبون « البريدج » .

وقام الخادم باعداد المائدة للعب الورق .

وراح الجميع يتجاذبون أطراف الحديث الذى تناول تاريخ

الولايات المتحدة ، والحرب مع الهنود الحمر ، ثم اختلاف العادات بين الامريكيين والانجليز .

وهنا وقفت السيدة موريز وقالت :

ـ عندما تحين الساعة الرابعة ينبغى أن نكون فى الماء .. فحتى ذلك الحين ، ما رأيكم فى ان نلعب « البريدج » . وليجلس مستر فيرتشايلد والسيدة وايزمان وباتريشيا ويوليوس الى المائدة رقم (١) والميجر ايرس والآنسة جيمسون والمستر تاليافيرو .. ثم استدارت الى « جينى » الشقراء وقالت لها :

ـ هل تلعبين البريدج ؟.

وقال فيرتشـــــايلد :

ـ يايوليوس ، ياميجر ايرس . اليس من المستحسن أن تستلقى قليلا ؟ . الا ترى يا جوردن ان هذا هو الافضل ؟ ».

فقـــال الكابتن ايرس من فـــوره :

ـ اعتقـــد انك على صـــواب ».

وقال فيرتشايلد :

ـ هل أنت قادم يا جوردن ؟.

فنظرت السيدة موريز اليه وقالت :

ـ من المؤكد انك لن تتركنا يا مستر جوردن .

وتطلع جوردن الى باتريشيا التى قابلت نظرته بهدوء وقال :

ـ نعم اننى قادم ولـكننى لن ألعب الورق .

وبقى تاليافيرو وبيت ، على حين انهمك ابن شقيق السيدة موريز يعمل بمنشاره ، وتطلعت «موريز» الى بيت .

ثم القت ببصرها الى بعيد ولم ترغب فىان تساله عما اذا كان يلعب « البريدج » .

وتطلعت موريز الى ضيوفها بشيء من اليأس المفعم بالدهشة . ونظرت باتريشيا الى من بقى من الضيوف وقالت لعمتها :

ـ لقد قلت انه لن يكون هناك عدد كاف من السيدات :

فقالت العمة :

ـ اعتقد انه من الممكن ان تلعب حول مائدة واحدة .

وقف بيت مع جيني فوق سطح اليخت ، وكان النسيم يداعب ثيابها ، وراحت تنظر الى الماء وقد مالت على حاجز اليخت .. فناداها احد البحارة خشية ان تسقط في الماء فابتعدت عن الحاجز ، وشاهد الاثنان شقيق باتريشيا وهو يعمل بمنشاره فتساءلا عما يفعله .

فقال بيت : أعتقد انه ليس في حاجة الى مساعدة احد منا .

ثم قال :

ـ كم ستطول الرحلة ؟ .

فقالت جيني :

ـ لا ادري .. انها للمتعة والمرح ؟ وليس لهم هدف معين .. لو كنت غنية لبقيت حيث استطيع انفاق المال بدلا من ان أقطع طريقا لا يرى الانسان فيه شيئا .

فقاطعها احدهم قائلا :

ـ لو كنت غنية لاشتريت ملابس وجواهر وسيارة .

فقالت جيني :

ـ اعتقد انني لن اشترى زورقا .

ووقف شقيق باتريشيا يتطلع الى محركات اليخت ويتساءل عن مدى قوتها ، وراح يتطلع الى الكابتن وهو منهمك في عمله فشعر بالبهجة والسرور والاهتمام .

فقالت أخته باتريشيا :

ـ ماذا هناك ؟ .

فقال :

ـ ماذا تفعلين هنا ؟ ومن طلب منك الحضور ؟ .

فقالت :

ـ أردت الحضور ، ماذا هناك يا كابتن ؟ .

فقال اخوها :

ـ اذهبي الى سطح اليخت فلا عمل لك هنا .

فقالت :

ـ انظر يا كابتن ، ان المحركات تسير بسرعة كبيرة .

فقال الكابتن :
ـ هذا صحيح يا سيدتي . انها آلة جيدة تكلفت ١٢ الف دولار ..
ثم عادت باتريشيا مع أخيها الذى قال لها :
ـ لماذا تقتفين اثرى ؟..
فقالت باتريشيا :
ـ لم أكن أقتفى اثرك ..

الساعة الرابعة

جلس الجميع حول مائدة «البريدج» وهم يتحدثون ويمرحون وراحت السيدة « موريو » تتطلع نحو الفضاء أحيانا ، والسفينة تشق عباب الماء .

وكان مستر تاليافيرو كلما رفع رأسه رأى أن السيدة موريو تنظر اليه متأملة ، فيعود الى اللعب .

واقبل بقية الضيوف وهم فى ملابس الاستحمام وتجاهلوا الذين يلعبون الورق ، ثم هتف فيرتشايلد :

ـ إنه يكسب ..!

ورفعت السيدة موريو عينيها فشاهدت الكابتن ايرس يقفز من فوق حاجز اليخت دون أن تصدق هى ذلك فصرخت :

فاقبل الخادم وخلع معطفه والقى بحزام النجاة ، ثم القى نفسه .. وسار الكابتن ايرس خلف اليخت وهو يسبح بشدة ووصل هو والخادم الى قرب اليخت .

واستطاع البحارة أن يسحبوا الكابتن ايرس الى زورق صغير .

وهبط الضيوف الى قاع الزورق ، وارتدوا ملابس الاستحمام ولم يكن لدى جينى رداء للاستحمام فأعطتها باتريشيا رداءها .

ونزلت جينى الى البحر على حين ظل بيتى فى الزورق بكامل ملابسه . وارتدى « تاليافيرو» رداء البحر ، ونزل الى الماء . وحاول أن يتجاذب أطراف الحديث مع جينى .

ونزل فيرتشايلد وهو أشبه بفيل البحر ، وتبعه الكابتن ايرس الذى راح يرش الجميع بالماء .

وجلس جوردن على حاجز اليخت يشاهد الجميع وهم يسبحون ، ونزلت باتريشيا الى الماء فى النهاية .

وتحدث الكابتن ايرس عن الغطس حتى حل التعب به من مطاردة اصحابه وهم يغطسون فى الماء كلما حاول الاقتراب منهم فنقلوه الى الزورق .

وعاد الجميع الى اليخت ، وعندما ارادت باتريشيا الصعود رفعها جوردن بيديه .

الساعة السادسة

وصل اليخت الى مصب احد الأنهار ، وكان الماء أشبه بالبترول الراكد ، فلم يجد الزورق اية مشقة فى شق الطريق الى الأمام .

وقف تاليافيرو بجوار جينى وصاحبها بيت ، وكانت جينى تبدو فاتنة على ضوء أشعة الشمس وهى تميل الى الغروب ..

ثم توجه الزورق الى عرض البحر فى سرعة متوسطة .

الساعة السابعة

اقبل الجميع لتناول طعام العشاء ، وأمسكت السيدة موريس بيد مستر تاليافيرو .. وقالت له فى توسل :

ــ مستر تاليافيرو ..

فوقف مستر تاليافيرو وقال :

ــ اما ونحن كلنا على ظهر اليخت الآن ، فان قبطان اليخت يريد أن يعرف الميناء الذى سنرسو فيه . او بمعنى آخر .. اين سنذهب غدا ؟

فقال فيرتشايلد :

ــ الى اى مكان ، لقد اقبلنا من مكان ما أمس .

فقالت السيدة وايزمان :

ــ انت تعنى اليوم ؟ فقد غادرنا نيو اورليانز صباح اليوم .

وقال تاليافيرو :

ـ سنذهب غداً الى نهر «تشوفونكتا» ونقضى سحابة اليوم فى صيد السمك فهل انتم موافقون جميعا ؟ أم تفضلون الاقتراع؟.

ووافق الجميع على ذلك .

وقال فيرتشايلد :

ـ ربما سنقابل هنـــاك آل جاكسون ، احسن شـــاعر فى نيو اورليانز .

ثم قال تاليافيرو :

ـ اذن انتهينا من هذا الموضوع . ان قبطان السفينة يدعوكم الى حفل رقص بعد العشاء مباشرة .

وقال فيرتشايلد :

ـ ان لدى آل جاكسون بحـيرة لصيـــد الاسماك فى خليـــج المـكسيك .

فقالت وايزمان :

حيث الرجال كالحيتان .

فنظر اليها الكابتن ايرس نظرة تأمل فقالت وايزمان .

ـ حيث الرجال رجال ، انه المكان الذى جاءت منه تلك الفتاة الجميلة الشــقراء .

واشارت الى جينى .

فحدق الكابتن ايرس فى وجه جينى وسألها :

ـ هــل كنت تقيمين فى بحـيرة الأسماك عند جاكسون فى خليج المـكسيك ؟.

فقالت جينى :

ـ اننى اقيم فى اسبلانيد .

وقال فيرتشايلد :

ـ اعتقد انك لست الفتـــاة المقصودة والا عرفت البحيرة .. ان جاكسون يجمع الأسماك ثم يضع شعاره عليها .

فقال الكابتن ايرس : يضع شعاره عليها ؟!.

فأجاب فيرتشايلد :

ـ انه يضع علامته عليها ليميزها عن الأسماك الأخرى ، وهو الآن يمتلك أسماك العالم ، انه مليونير سمك .

فقال الـكابتن !
ـ وماذا يفعل بها ؟»
فقال فيرتشايلد :
ـ انه يقطع ذيلها ».
فقال الـكابتن :
ـ ان الأسماك الموجودة عندنا مقطوعة الذيل !
فقال فيرتشايلد :
ـ اذن فهى أسماك آل جاكسون »
وصعد الجميع الى سطح اليخت .»

الساعة التاسعة

وراح دوش فيرتشايلد يبحث عن قطعة سلك أو قضيب من النحاس ليستخدمه في عمـــل ما . ووصل فى بحثه الى غرفة المحركات فوجد قضيبا من الصلب خاليا من الشحم فاعتقد انهم لايستخدمونه أبدا ، ورأى انه يحتاج اليه فترة ، ويستطيع اعادته قبـل الغـد ، فسحب القضيب بسهولة وكان من الصلب المتاز وثمنـــه ١٢ الف دولار ..

وقال يحدث نفسه :
ـ ان القضيب سيظل سليما .
وكان القبطان يغط في نومه ، فأغلق الغرفة ووضع القضيب في جيبه وعاد الى الكابينة التى يشغلها مع مستر تاليافيرو ..
وكان القضيب ساخنا ، وكان صندوق التبغ فى جيبه أيضا.
واحضر الاسطوانة الخشبية ووضع لفافة تبغ على حقيبـة صغيرة ، ورفع القضيب ووجه رأسه الساخن الى نقطة الاسطوانة ».
فارتفع خيط من الدخان ، له رائحة تشبه رائحة الجلد ».

الساعة العاشرة

جلست السيدة موريز مع السيدة وايزمان والآنسة جيمسون ومارك والمستر تاليافيرو حول مائدة « البريدج » .
ولم تكن السيدة موريز تشعر بميل الى اللعب وقالت :
ـ لست أدرى ماذا يريدون أن يفعلوا ؟ .»

فقالت وايزمان :
إنها نزهة مليئة بالمرح ..
فقالت باتريشيا :
ـ انها أسوأ من ذلك ، انها أشبه بزورق للماشية ، الكل يسير هنا وهناك ..
وقالت مورين :
ـ لتكن ما تكون ..

وفجأة ظهر خيال شخص لحقت به باتريشيا ، ولم يكن سوى جوردن ..
واصاب السيدة مورين شعور بالفشل كمضيفة اذ لم تتبادل كلمة مع جوردن منذ رحيلهم ..

فقالت لرفاقها :
ـ لنرقص على انغام الموسيقى ..
فقالت السيدة وايزمان :

ـ انني أفضل لعب الورق مع مارك على أن أرقص معه .
فقالت مورين :

ـ سيأتي كثيرون عندما تعزف الموسيقى .. الا تحب الرقص يا مستر تاليافيرو .
فقال تاليافيرو :
ـ كما تشائين ياسيدتي العزيزة !.

وذهبت السيدة مورين تبحث عن رفاقها حتى يشاركوها في الرقص ، فعثرت على جوردن وباتريشيا فقالت لهما :
ـ هل تريدان الرقص ؟.
فقالت باتريشيا :
ـ لا . . . لا اريد ..
فقالت العمة مورين :
ـ اعتقد أنك لن تمنعي جوردن من الرقص .
فقالت الفتاة باتريشيا :

ـ اننا نتحــــدث عن الأدب والفــن »

فقــالت العمـــــة :

ـ أين تيودور ؟ ربمــا ســاعدنا فى ذلك »

فقــالت باتريشــيا :

ـ انه فى سريره ، يمكنك أن تطلبى منه ذلك »

فذهبت العمة وراحت تحــدث نفسها قائلة :

ـ لقد فعلت الكثير لارضائهم ولكن دون جدوى »

ثم شاهدت شبحين فى الظــلام ، ثم ظهــرت جينى وبيت ؛ فتطلعت الســيدة موريز اليهما بارتباك وتذكرت قول الســيدة وايزمان فى زورق النزهة .

فقــــالت مســـز موريز :

ـ أعتقــد أنكما تستمتعان بضوء القمــر »

فقالت جينى :

ـ نعم اننا نجلس هنــــا »

فقالت موريز :

ـ الا تريدان أن ترقصا ؟ »

فلم تحرك الفتاة ساكنا ، فانصرفت الســـيدة موريز الى مخـــــدعها .

الســاعة الحــادية عشرة

طرق مستر تاليافيرو باب مستر فيرتشايلد ثم دخل فوجد الرجل السامى يوليوس والكابتن ايرس على المائدة ـ

فقال فيرتشايلد :

ـ ادخل . كيف هربت منــــا ؟»

فقال الرجـــل الســـامى :

ـ ان جسم الانسان يستطيع أن يتحمل الكثير ؟ أليس كذلك ؟ أعتقد أن مستر تاليافيرو رجـــل مقدام لايحتاج الى مساعدة

فقال فيرتشـــــايلد :

ـ اين جوردن ؟ اهـــو على ظهر اليخت .

فقال تاليـــافيرو :

ـ اعتقـــد ذلك ، واعتقد انه مع الآنسة باتريشيا .

فقـــال فيرتشـــايلد :

ـ آمل الا تعامله بقســـوة مثـــل ماعاملتنا . البس كذلك ياكابتـــن .

فقـــال الرجـــل الســـامى يوليوس :

ـ تستحق انت ذلك والـــكابتن .

وبعـــد الشراب قال فيرتشـــايلد :

ـ لنصـــعد الى الســـطح قليـــلا .

اليـــوم الثـــانى

هبت عاصفة فى الساعة الثالثة صباحا ، فهاجت مياه البحيرة كما تنبأ القبطان ، وتلاطمت الأمواج ، وراح اليخت يعلو ويهبط ، وراح القبطان يدير دفة اليخت لينجو بها من هذه الأمواج ويخرج بها الى عرض البحر .

وكانت دوروثى جيمسون وهى احدى ركاب اليخت فى هذه الرحلة ذات اسلوب جرىء ، وكانت صاحبة مزاج فنى رقيـــق وتفضل الصور الفنية ، وكانت طويلة القامة ذات عينين سوداوين ، وقد أمضت عامين فى قرية « جرينتش » لتتعرف على الاتجاهات الامريكية فى الرسم ، وقد تعرفت بأحد الشبان عندما استدان منها نقودا ليسدد دينا لامراة أخرى ، غير أنه ما لبث أن هرب الى باريس مع سيدة ثرية .

وكان صاحبها موسيقارا متحررا ، عمـــل فى أوركسترا بتسبرج حيث لقى تلك السيدة .

وامضت دوروثى عاما فى الخارج ، ثم عادت الى نيواورليانز ، وقد ضبطها البوليس مرارا وهى تسير مسرعة بسيارتها فحرر لها عدة مخالفات .

وراحت دوروثى تفكر فى السيدات اللواتى فى اليخت ، ومنهن السيدة وايزمان التى كانت متزوجة من شخص ثم هجرته ، والرجال اليوم يخطبون ودها مثل فيرتشايلد . ولكن قد يكون ميله نحوها يعود الى صداقة لأخيها . غير أن فيرتشايلد لم يكن من هذا الطراز ، اذ انه يميل اليها لأنه مفتون بها .

وهناك باتريشيا التى لاتهتم بصناعة الفن ، وجوردن المنطوى على نفسه الماكر .

وماذا بشأن بيت وجينى ؟ ومستر تاليافيرو .

ان جينى جميلة فتانة ولكنها كصاحبها والمستر تاليافيرو الذين لا يهتمون بالفن ، ومضت جيني تقول :

ـ ربما أن الفنان الأديب ليس ذلك الطراز من الناس الذى يستهوينى .

الساعة السابعة

واشرقت الشمس بنورها الساطع ، وراح الزورق يشق عباب الماء .. ومع مشرق شمس اليوم التالى علت وجه بيت علامة خوف ، فامسك بصحيفة وراح يطالعها .

وقالت الآنسة جيمسون : انه يوم شديد البرودة .

فأجاب بيت :

ـ طبعا ، وعندما نهضت فى الصباح ، وشعرت بالبرد وأن الزورق يعلو ويهبط لم ادر الى اين نسير . اننى لا اشعر بارتياح اليوم ..

فقالت الآنسة جيمسون :

ـ كيف حصلت على صحف ، هل رسا الزورق مساء امس في مكان ما ؟

فقـــال بيت :

ـ انها صحيفة قديمة وقد عثرت عليها في اســفل اليخت .

فقــالت جيمســون :

ـ لاتلق بهـا ، استمر في القراءة اذا كان هنــاك ما يثير اهتمــامك .

انني آسفة لأنني سببت لك الضـيق .

ربما تشــعر بالارتياح بعد تناولك الفطور .

فقـــال بيت :

ـ ربما حصل هذا ، ولكنني اشعر بالضيق بما آل اليـه حال اليخت والأمواج المتــلاطمة .

فقــالت جيمســون :

ـ ستتغلب على ذلك . انا متأكدة .

ثم اقتربت لترى الصحيفة فوجدتها صحيفة يوم الأحـد وفيها مقال عن فن العمــارة عند الرومان .

فســألته جيمســون :

ـ هل تهتم بفن العمــارة ؟

فقال بيت :

ـ لا .. لقد كنت أقلب الصـحيفة حتى يستيقظ الجميـع وأنا لم افكر في ذلك .

فقـــالت جيمســـون :

ـ هذا يعجبني في الرجال امثالك ، انك خبير في الحياة بحيث لاتخشى ماتفعله بك الأيام .

ترى هل تقضى أوقاتك في التفكير في الحياة ؟

فقال بيت :

ـ ليس كثيرا ، الرجـــل لايريد أن يكون ســمكة .

فقــالت جيمســون :

ــ انك لن تكون سمكة فى يوم ما . ان الجميع يدعونك بيتة، فهل تنزعج ؟ أعتقد أن الأمور الجدية هى التى تدخل السعادة الى القلوب .. ان الكثيرين يقبلون الجلوس والحديث عن هذه الامور بدلا من الانطلاق والحصول عليها .. اعطنى سيجارة من فضلك .

وناولها السيجارة ، ووقف أمام أحد الأبواب وفجأة خرجت باتريشيا ومعها معطف واق من الأمطار :

فقالت هاللو ! ..

فقال بيتة :

ــ هاللو ! هل نهضت جينى ؟»

فقالت باتريشيا :

ــ انها ستحضر حالا ...

الساعة الثامنة

وقالت السيدة موريو حول مائدة الفطور :

ــ ان عجلة القيادة معطلة وقد طلب القبطان سفينة لتسحب اليخت .

ــ لقد كان اليخت بالامس على غير ما يرام .»

ــ ويحاول القبطان أن يجد سبب هذا العطل .»

فقالت وايزمان :

ــ لقد كنت اريد دائما أن أكون فى سفينة ، ثم تتحطم . ليكن هذا درسا لكم ايها الرفاق .

وقالت باتريشيا :

ــ انهم لا يعرفون شيئا عن المحركات . ومن الممكن ان يقوم دوسون فيرتشايلد باصلاحها ، فهو يعرف الكثير عن محركات السيارات .

ــ اعتقد انك تستطيع ذلك يا دوسون ؟ .»

ويبدو انه لم يصغ الى قولها ، بل مضى يتناول طعامه ، ثم طلب لفافة ، ثم توجه الى غرفته حيث أخرج القضيب فوجد أن احد طرفيه اسود اللون فتوجه الى دورة المياه وأمسك بفرشاة وراح يدعكه فزال السواد .. وتوجـــه الى غرفة الآلات بعد ان وضع فرشـــة الاسنان بين أمتعة مستر تاليـــافيرو .. ثم أعاد القضيب مكانه وغادر الغرفة .

الساعة العاشرة

قال فيرتشايلد مخاطبا تاليافيرو :

ـ ان مايقلقك هو انك لست جريئـــا في حياتك ، ولست أعني إنك من ناحية الكلام لا تثير اهتمام من يصغي اليك فحسب ، بل إنك من ناحية الأفعال لا تثير الاهتمام أيضا .

فقال تاليا فيرو :

ـ ماذا تعني أن أكون جريئا ؟ وماذا أفعل لأكون كذلك .

فقال فيرتشايلد :

ـ ألم تقرأ الصحف وما فيها من أنبـــاء تضحيات الفتيـــات للرجال ؟ .

فقال الرجل الســـامي :

ـ ولكن لماذا يفعـــل تاليـــافيرو ذلك ؟ انهن يتجاهلنه وهو لايحتاج الى رضاهن ؟ .

الساعة الثانية

جلست باتريشيا على ظهر اليخت وحدها وراحت تحملق في مياه البحر ، ولــكنها سئمت ذلك فعـــادت تريد غرفتها فوجدت الخادم ينظف أواني الطعام .

فسألته باتريشيا :

ـ ما اسمك ؟ .

فأجاب الخادم :

ـ دالفيلدوست وأقيم في انديانا وقد عرفت مستر فيرتشايلد منذ يومين وهو الذى قدمني الى السيدة موريز لأعمل عندهـــا وهذه هي أول رحلة في اليخت ».

فقالت باتريشيا :

ـ كنت اتمنى ان أكون رجلا أطوف البلاد التي اريدها ، واعتقد انه يمكنني العمل في السفن ».

فقال :

ـ لقد تعلمت الطهي في السفينة في اثناء زيارتي موانى البحر الابيض المتوسط ».

فقالت باتريشيا :

ـ لابد انك شــهدت الكثير ! » ماذا كنت تفعــل هناك ؟ » لاشك انك لم تكن تجلس في السفينة .

فقال الرجل :

ـ لا .. كنت أطوف المدن بعيدا عن الشاطيء ».

فقالت باتريشيا :

ـ هل زرت باريس ؟ ».

فقال :

ـ لا .. ولكن ...».

فقالت باتريشيا :

ـ ان الرجال يذهبون الى أوربا لانطلاق الحياة فيها .. اليس كذلك ؟ ».

فقـــال :

ـ لست ادرى ...».

فقالت باتريشيا :

ـ اعتقد انه لم يكن لديك وقت لذلك ، لابد انك شاهدت الجبال والقلاع والآثار في البلاد التي زرتها ».

ـ اليس كذلك ؟ ».

فقـــال :

ــ نعم ! . فقد رأيت جبال الألب والزوارق الصغيرة ، والمناظر الخلابة .

فقالت باتريشيا :

ــ أرجو ان ازور اوربا فى الصيف القادم .

وصعد تاليافيرو الى سطح اليخت فوجد جينى مستلقية فوق أحد المقاعد .. جميلة شقراء فوقف يتأملها وقد انسكب عليها ضوء الشمس ، والقى تاليافيرو نظـرة سريعة على السـطح ، فلم يجد أحدا ، فاقترب وراح يتأمل حسنها الرائع ، ولكنه وقف كالمذعور إذ خيل اليه أن أحداً يراقبه ، فراح يبحث عن لفافة تبغ فلم يجد فعاد الى غرفته ، ووقف أمام المرآة يمعن فى النظر فى وجهه ليرى الجرأة والاقدام ولـكنه لم يجد سوى تعبير عن الخوف .

الساعة التاسعة

طلبت السيدة موريز من فيرتشايلد وصديقه السامى يوليوس الحضـور للرقص فأخبـرها فيرتشايلد انه سيحضر بعد أن يأتى جوردن والكابتن أيرس .

ولكنها رفضت قائلة :

ــ اننا سنرسل الخادم ليدعوهما .

فقال فيرتشايلد :

ــ أعتقد انه من الأفضل أن أذهب انا نفسى اذ قـد لا يحضر جوردن مع الخادم .

فاضطرت السيدة موريز الى السماح لهما بذلك .

وراح مستر تاليافيرو يرقص مع جينى . والسيدة وايزمان مع الشاعر مارك على حين لم يكن للآنسة جيمسون شريك فراحت تلعب الورق وحدها ..

وقالت السيدة موريز :

ـ يستحسن أن نتبادل الشركاء في الرقص ».
وجلست باتريشيا دون شريك .
وعندما حضر بيت ذهبت الى سطح اليخت ، فشاهدتها الآنسة جيمسون ..
فقالت :
ـ ماذا تفعلين هنا ؟ . ان السيدة مورير تريد أن تراك ».
فقالت باتريشيا :
ـ لقد هربنا منها .
فقالت جيمسون :
ـ انها تريد بيت فيما اظن ».
ودخلت جيني الى غرفتها وراحت تخلع ملابسها ، وفجاة حضرت باتريشيا ، وسألتها عن لفافة تبغ فأخبرتها بأنها لا تدخن ».
فسألتها باتريشيا :
ـ هل تريدين ملابس للنوم ؟ ».
فقالت جيني :
ـ لا أستطيع أن ارتديها ».
وطلبت باتريشيا من جيني أن تطفىء الضوء ، فقامت جيني باطفاء الضوء وكان الجو حارا فشعرت بالضيق الشديد ».
وقالت باتريشيا :
ـ ما هو شعورك اذا كنت في رحلة وكل من فيها على شاكلة مستر تاليافيرو ؟ ».
فقالت جيني :
ـ أيهم تاليافيرو ؟ ».
فقالت باتريشيا :
ـ الا تذكرينه .. انه ذلك الشخص الضئيل المزعج ».
فقالت جيني :
ـ لقد تذكرته ».
فقالت باتريشيا :

ـ وماذا من امر بيت ؟ .. انه متضايق من امر تاليافيرو .
فصمتت جيني لحظة ثم قالت :
ـ انه الآن على ما يرام .
فقالت باتريشيا :
ـ انك تحبين الألفة ؟ .. أليس كذلك ؟ .
فقالت جيني :
ـ انني معتادة ذلك .
فقالت باتريشيا :
ـ خير لك ان تفتحي عينيك ، ان المس جيمسون تحاول اختطاف بيت منك .
فقالت جيني :
ـ ان بيت رجل واع ...
فقالت باتريشيا :
ـ هل تعرفين ماذا تريد من بيت ؟ .
فقالت جيني :
ـ لا ... ماذا تريد ؟ .
فقالت باتريشيا :
ـ هل تعرفينها جيدا ؟ .. هل تعرفين اي نوع من الفتيات هي ؟ .
فقالت جيني :
ـ ماذا تريد من بيت ؟ .
فقالت باتريشيا :
ـ انها تريد ان ترسم صورة له ...
فقالت جيني :
ـ وماذا بعد ذلك ؟ .
فقالت باتريشيا :
ـ انها تريد رسم صورة له كي تخطب وده .
فقالت جيني :

ـ هذه طريقة لا تصلح مع بيت ، فهو غير معتاد اياها .

فقالت باتريشيا :

ـ انني لا ألوم بيت لأني اعرف إنه لا يريد اضاعة الوقت بهذه الطريقة .

فقالت جيني :

ـ قد تكون الفكرة مناسبة لأمثالك ، ولكن بيت لن يدع امرأة تو سمه .

وراحت جيني تروى لرفيقتها حوادث من حياتها السابقة ، ثم نامت باتريشيا بجانب جيني .

ولم يعد فيرتشايلد مع رفاقه كما وعد السيدة موربر ، وقد كانت هي تعرف ذلك لذا لم يدهشها عدم عودته .

فعاد ضيوفها الى لعب الورق ..

وقالت تحدث نفسها :

ـ يبدو أن الجميع يمتعون أنفسهم ماعدا جوردن ، فهو قاس حاد المزاج ، لست أدرى ماذا صنع له ؟ .

ونهضت السيدة موربر ، وطلبت من السيدة وايزمان وتاليافيرو وجيمسون السماح لها بالبحث عن جوردن فأذنو لها .

ووجدت السيدة موربر جوردن وقد مال فوق حاجز الزورق ، فوقفت معه وراحت تتطلع مثله الى البحر والى القمر وهو يرسل أشعته فوق سطح الماء .

وقالت له :

ـ ان قلة منا يمعنون فى النظر فى انفسهم . الا تعتقد ذلك ؟ .

فقال جوردن :

ـ نعم ..

فقالت مسز موربر :

ـ ان العالم ملىء بالشقاء وان الفنانين يشعرون بالسعادة عندما يحصلون على الوحى لاعمالهم .

ـ أما بالنسبة الينا .. فمن العسير ان نحصل على مثل هذا الالهام .

ـ آمل يا مستر جوردن أن تجد في الرحلة ما يعوضك عن بعدك عن عملك .

فقال جوردن في اقتضاب :

ـ أرجو ذلك ..

ثم رنا الى وجه مسز مورير وأردف قائلا :

ـ هناك شيء في وجهك يختفي وراء هذا المرح السخيف ..

فصاحت مسز مورير قائلة :

ـ مستر جوردن ..

وأحست بنفسها كما لو كانت ستفقد رشدها .

وخيم الضوء على المكان ، واليخت يشق عباب الماء بسكون .

الساعة الحادية عشرة

قالت السيدة وايزمان :

ـ هل تعلمون انه لو بقى الحال هكذا ليلة أخرى فسأطلب من يوليوس أن يتبادل مكانه معى على المائدة مع دوسون والكابتن ايرس ..

وسألها مارك فروست :

ـ الا تنتظرين دوروثى ؟

فقالت :

ـ انها تستطيع العناية بأمر نفسها .

وأقبلت السيدة مورير ثم جلست فمالت نحوها السيدة وايزمان وسألتها :

ـ هل أنت متوعكة ؟

فقالت السيدة مورير :

ـ انى بخير ، وقد كنت أجلس فى ضوء القمر .

فقالت السيدة وايزمان :

ـ لقد كنت أعتقد ان مستر جوردن كان معك ؟

فقالت موريز :

ـ يا لهؤلاء الفنانين ! »

فقالت السيدة وايزمان :

ـ ويا لجوردن ايضا ؟ ! . لقد اعتقدت انه ذهب مع دوسون افيرتشايلد ويوليوس الرجل السامي .»

فقالت السيدة موريز :

ـ هلمي بنا الى الفراش ! »

وقالت وايزمان لنفسها :

ـ لست أدري ماذا حدث لها ؟ لابد أن شيئا قد حدث لها .»

الساعة الثانية عشرة

ارتدت باتريشيا ملابس الاستحمام ، ووقفت بباب الغرفة ، حتى شاهدت حركة في الممر .

ووجدت الخادم دافيد وقد ارتدى ملابسه البيضاء .. فقالت له :

ـ اين ملابس الاستحمام ؟ »

فقال :

ـ لا ادرى ؟ »

فقالت :

ـ يمكنك ان تقود الزورق .. هلم بنا .»

واحضر الخادم المجاديف ثم جلس في الزورق وادارة »

واستلقت باتريشيا في الزورق وهو يسير فوق صفحة الماء اشبه بنغمة موسيقية ، وضوء القمر يخيم على المكان فيزيده جمالا.

ثم نزلت باتريشيا الى الماء وراحت تسبح وراء القارب »

وقالت :

ـ ان الماء دافيء ..»

فقال دافيد :

ـ يستحسن الا تبتعدى عن الزورق .

واستمرت باتريشيا فى السباحة حتى استطاعت أن تغطس وأن تسبح بمفردها وهو يتطلع اليها ..

اليوم الثالث

الساعة الخامسة

خرجت باتريشيا من الممر المظلم فى رداء أبيض شفاف ، وصعدت الى سطح اليخت لتملأ رئتيها بالهواء العليل .. ونزلت الى الماء ، ولم تكن ترى شيئا سوى السماء والماء . واخذت تسبح ببطء وتحاول الا تبتعد عن اليخت . ثم اقتربت من اليخت وامسكت بالشراع ، وانسلت ودخلت اليخت وقالت لدافيد :

ـ سأعود بعد لحظة ! .

وعادت باتريشيا بعد ثلاث دقائق وقد ارتدت ثوبا ملونا .

واشرق الصباح ، وكان السكون يخيم على اليخت وقالت :

ـ هل نستطيع الوصول الى الشاطىء بدون أن نركب الزورق الكبير ؟ .

فقال دافيد :

ـ يمكن الذهاب الى الشاطىء سباحة .

فقالت باتريشيا :

ـ الا يمكن أن ننزع الزورق عن اليخت ثم نعيده الى مكانه بعد أن نربطه ؟ .

فقال دافيد :

ـ هذا ممكن .

ووصل الاثنان الى الشاطىء وربط دافيد الحبل بوتد فى الارض .

وقالت باتريشيا :

ـ ما اسم هذه البلدة ؟ »

فقال دافيد :

ـ لست أدرى »

فقالت باتريشيا :

ـ آه .. انها بلدة « مانديفل » التى كانت تتحدث عنها جينى

ثم سحب دافيد الحبل ، فاتجه الزورق نحو اليخت .

فقالت باتريشيا :

ـ الوداع يا توزيكا .. الوداع أيها اليخت »

ثم اخرجت بعض النقود التى استطاعت الحصول عليها من امتعة عمتها ومن السيدة وايزمان والآنسة جيمسون . واعطته إياها وقالت :

ـ لنتناول طعام الفطور الآن ! »

الساعة السادسة

قالت باتريشيا :

ـ اننى جائعة .. أريد ان آكل شيئا »

فقال دافيد :

ـ اتريدين ان اضرم نارا ؟ »

فقالت :

ـ لا .. اننا قريبون من البحيرة ، وقد يرانا أحد ، لنبتعد عن الشاطىء .. لنجلس بجوار شجرة ريثما ينقشع الضباب »

وشعرت باتريشيا برجفة تسرى فى أوصالها ، وسمع الاثنان صوتا يتغنى بأنشودة حب .

الساعة السابعة

ابتعد الاثنان عن البحيرة ولكنهما لم يجدا الطريق ؟ ووقفا يأكلان البرتقال .

وقالت له :

ـ لا تنظر إلى هكذا »

فقـــال :

ـ وكيف تريدين أن أنظر اليك ؟»

فقــالت :

ـ أنت تعرف . أنظر الى كرجل »

وانقشع الضباب وسطعت الشـمس ، وجلست تدخن لفافة تبغ ، وفجأة أمسكت بشيء يمشي على ساقها ، وكان حشرة حمراء

فقـــال لها :

ـ ما هــذا ؟ »

فقـــالت :

ـ اعطني جواربي .. لا تنظر الي هكذا .

وسمع الاثنان صوت صفارة اليخت .

الساعة التاسعة

وعثرا على الطريق ووجـدا إن هنـاك مستنقعا يفصلهما عن الطريق .

فقـــالت :

ـ أين مانديفل ؟.

فقــال :

ـ من هذا الطريق »

فقـــالت :

ـ لقد كنت تقول انك لا تعرف مكان المدينة »

فقـــال :

ـ لقد كنا في غرب هــذه المدينة عندما وصلنا الى الشاطيء والبحيرة وراءنا الآن ، لذلك فالمدينة من هذا الطريق .

فقـــالت :

ـ كلا انها من هذا الطريق .»

فنظر اليها لحظة ثم قال :

ـ اعتقد انك على صواب »

ثم سارا الاثنان في الطريق الذي اختارته »

الساعة العاشرة

وقفت جينى مع بيت على سطح اليخت ، وراحت تحدثه فى بعض الامور ..

فقال بيت :

ـ لا تشغلى فكرك بهذه الاشياء .

ووقف الجميع فوق سطح اليخت حيث اشعة الشمس والهواء المنعش .

الساعة الحادية عشرة

سار دافيد مع باتريشيا فى طريق يبدو الا نهاية له ، ولاحظ بقعتين من الدم على جوربها .

وفى اليخت كانت السيدة وايزمان تستبدل ملابسها .

وقالت جينى :

ـ أن المستر تاليافيرو شخص مزعج ولكنه لطيف .. الا تعتقدين ذلك يا سيدة وايزمان ؟ .

فقالت :

ـ اعتقد ذلك .

وقالت جينى :

ـ ان الفتى المنهمك دائما بمنشاره لطيف ايضا .

وراحت تتامل نفسها فى المرآة .

ثم نادتها السيدة وايزمان وقالت :

ـ هلمى بنا .

الساعة الثانية عشرة

جلست باتريشيا فى الطريق تتالم وقالت :

ـ انها تؤلمنى .

فمال دافيد نحوها وهتف باسمها مرتين .

فقالت :

ـ انظر الى ساقى .. وكانت هناك بقع داكنة اللون ..

إن البقع منتشرة فى جسـدى .. لابد أن أغطس فى المـاء .. إننى أموت .

فقال دافيد :

ـ سآتى لك ببعض المـاء ، انتظرى هنا .

فقـالت :

ـ هل ستحضر بعض المـاء ؟.

فقـال :

ـ سأفعل ، انتظرى هنا .

ثم أخذ قطعة من قميصها غمسها بماء فقالت له :

ـ أريد جرعة ماء يا دافيد ..

فقـال :

ـ سنحصل على المـاء بعد خروجنا من المستنقع .

وكان الطريق طويلا لا نهاية له ، والأشجار قائمة على جانبيه .
وقالت له :

ـ خذ هذا القميص واغمسه فى المـاء وضعه على وجهى .

فقـال :

ـ أرتدى قميصى ؟.

فقـالت :

ـ انها ستأكلك بدون القميص .

فقـال :

ـ ان الحشرات لا تؤذينى بالطريقة التى فعلتها بك ، ولست فى حاجة الى القميص .

فقـالت :

ـ كلا احتفظ به ، ولـكنى أريد أن البسـه تحت ملابسى اذا كنت لا تريده .

وقالت له بعد أن عاونها فى ارتداء القميص :

ـ سأفعل شيئا من أجلك ذات يوم ، وسأرد لك هذا الصنيع دعنا نخرج من هذا المـكان .

الساعة الواحدة

قامت السيـــدة وايزمان والآنســة جيمسون بتخفيف وقع الصدمة على السيدة مورير عندما علمت بهرب باتريشيا .

وقال فيرتشايلد :

ـ من الممكن أن يحدث أى شىء فى الحياة ، وأما فى القصص فان الشخصيات تخضع لحدود معينة .

وقالت وايزمان :

ـ هذا صحيح .. ولهذا فان الأدب فن ، وأما علم الأحيــاء فليس فنا .

وقال فيرتشايلد :

ـ الفن هو كل ما يصنع بصورة جيدة ومن وعى ؟ وأنا أؤيد أن يختصر الفن على الرسم .

فقالت الســـيدة مورير :

ـ ان الفن هو الحياة ، ووجود الروح الجميــل ، ألا تعتقــد يامستر جوردن ان هذا هو عمل الفن .

انه غذاء الروح ..

وهو لاشباع الرغبات ..

اليس كذلك يا مستر تاليافيرو ؟ .

وسارت باتريشيا مع دافيد فى الطريق الذى لا نهاية له .. وراحت تتوسل له كى يحضر لهـــا بعض المـــاء ، وســـاءت حالها كثيرا وشعرت بآلام مبرحة .

فقال لها دافيد :

ـ اخلعى حذاءك وسيرى فى المستنقع مثلى حافية القــدمين فهذا يساعدك ..

ففعلت ذلك وشعرت بشىء من الارتياح . وبدأت الشـــمس تميل الى المغيب .

الساعة الثانية

اصلحت جينى من شـــأنها ثم صعدت الى سطح اليخت ووقفت ريثما يلحظ المستر تاليافيرو وجودها هناك ـ

وعندما اقبلت قالت له :

ــ كنت أرقب تلك الأشياء التى فى المـاء .

ثم تطلعت جينى حولها لترى اذا كان هناك أحد .

ثم قالت :

ــ ان الشمس شديدة الحرارة هنا .

وخرجت باتريشيا ودافيد من المستنقع اخيرا ، ولكن الفتاة لم تستطع السير فقدكانت الحرارة شديدة والحشرات والسحالى تملأ المـكان أمامهما والغبار قد سد الأفق .

فقـــالت :

ــ لا أستطيع السير ، ماذا سنفعل الآن ؟ اننى متعبة ، افعل شيئا من اجلى يا دافيد .

وساعدها دافيد لتستريح قليلا ولـكنها ما لبثت أن صاحت :

ــ يجب ان نذهب بسرعـــة .. ساعدنى .. لا اريد ان اموت هنا ، اننى مريضة .

ثم استلقت على الأرض ، وأغمضت عينيها واستسلمت للنوم .

الساعة الثالثة

قال فيرتشايلد يحدث نفسه : لقد اصبحت الحياة فى اليخت تثير الـكآبة .

واحتشد معظم الضيوف فى الزورق الذى اتجه الى الشاطىء وبقى بنت مع السيدة مورير .

سار الزورق نحو الشاطىء ، وراح الرجال يتبادلون التجديف وعندما اوشك الزورق الوصول الى الشاطىء هاجمت الرجال اسراب من الحشرات الحمراء اللون .

فقـــال تاليـــافيرو :

ــ يستحسن أن نعود من اجل السيدات .

ثم عاد نحو الشاطىء من جديد ، وعادت الضوضاء والحركة .

وامسك مستر تاليافيرو بالحبل المعلق باليخت وقال انه غير مشدود .

فقـــال له فيرتشـــــايلد :

ـ اسحب الحبل ».
فقال تاليافيرو :
ـ اسحب أيها الشيطان »
فهتفت تاليــافيرو :
ـ ان اليخت يسير ».
وراح الجميع يلوحون بأيديهم للسيــدة موديز فردت على التحية .. وسار اليخت ببطء نحو الشاطىء حتى اقترب منه .
وفجأة صرخ مستر تاليافيرو وهوى الى المــاء ، واجتذب معه جينى .. وما لبث مستر تاليافيرو أن يخرج من المــاء .
وقام يوليوس بانقاذ جينى على حين راحت السيدة وايزمان تجفف جسد جينى وتجرى لها تنفســا صناعيــا حتى عادت الى وعيهــا ..
ونظرت جينى الى يدها فوجــدت فوقهــا بقعا حمراء اللون أخذت تكبر كلما نظرت اليها فأخذت تبكى فى حرقة وألم .
وقالت باتريشيا بعد أن أفاقت من اغمائها :
ـ عندما تهرب مع فتاة تأكد أن تكون غير ضعيفة .. دعنا نذهب ، ولــكنها لم تستطع السير فقالت :
ـ ماذا سنفعل ؟ »
فقــال دافيد :
ـ سأحملك على كتفى ! »
فقالت باتريشيا :
ـ هل تستطيع ..؟ أنت متعب »
فقــال دافيد :
ـ سأحملك حتى نصل الى مكان ما ».
والقت باتريشيا برأسها فوق كتف دافيد وقالت :
أنت لطيف معى يادافيــد .

***

قامت السيــدة وايزمان بتنظيف يد جينى ووضــعت رباطا حولها ، وخلعت جينى مــلابسها ثم ارتدت مــلابس باتريشــيا ، ووقفت أمام المرآة .

وقالت جيني :
ــ أليس الثوب على ما يرام ؟»
فقالت السيدة وايزمان :
ــ اخلعي هذا الثوب ، سابحث لك عن ثوب آخر »
فقالت جيني :
ــ حسنا سأفعل ، أعتقد أن أي ثوب مناسب لجسمي »
فقالت السيدة وايزمان :
ــ هذا صحيح ، خــذي هذا الثوب الأسود ، كيف حال يدك الآن ؟»
فقالت جيني :
ــ انها بخير »

الساعة الرابعة

سار دافيـــد وباتريشيا يحملها على كتفه ، وراح يطأ أرض المستنقع والحشرات تلدغه كالسياط فلم يئن ولم يتراجع ، ولم يكن يحس بشيء سوى ذلك الثقل على كتفيه ، وشعر أن فمـــه مفتوح فأغلقه »

وقالت باتريشيا :
ــ دعني أنزل . هذا يكفي »
فقال :
ــ كلا .. لست متعبا »

وكانت دقات قلبه تتوالى بصوت مسموع ، وشعر بأنه بحاجة الى ماء ، ولم يسمع سوى صوت أزيز على مقربة منه .

وكان هدير البحر يصل الى اذنيه .

وكان يتراءى له أن أمامه سرابا كمـــا لو كان يسير في كهف وهدير البحر امام الكهف »

وراح يحدث نفسه بأنه لم يبق سوى ثلاث خطوات ثم يصل الى البحر أو الى الطريق .

ومضى يعد الخطوات : واحدة . اثنتان . ثلاثة .

وجف حلقه وتدلى لسانه ،وأرسل صوتا اشبه بفحيح الأفاعي
وقالت له باتريشيا :

ـ انزلني على الأرض ، هناك لافتة ، انني أستطيع السير »
وتدلت من فوق كتفيه فوقع على ركبتيه ، ثم استند على يديه ليقف ، فركعت الى جواره وراحت تمسح على رقبته لتخفف من التعب الذي حل به .
ثم رفعت رأسها نحو اللافتة وقرأت : مانديفل ١٤ ميلا »
ورأت سهما يشير الى الجهة التي أقبلا منها .
وتطلع فيرتشايلد الى تاليافيرو وقد علاه اليأس وراح يضحك .
فقال السامي يوليوس :
ـ اضحك مثلما تشاء ، اذا احتج مستر تاليافيرو فسنؤيده في احتجاجه ، فهو الشخص الوحيد الذي أصيب بضرر حقيقي من ذهابنا الى الشاطيء » .
فقال فيرتشايلد :
ـ هذا صحيح ، وأنا أحاول ان أعوض عن هذا الضرر »
ثم توقف وقال :
ـ أين جوردن ؟ أليس هناك احد يعرف بمكانه ؟ »
فقال السامي :
ـ قد قضينا وقتا طويلا ، وقاسينا كثيرا بسبب الفن »
فقال فيرتشايلد :
ـ ان الفنان يحصل على الكثير من فنه الذي يملأ حياته »
ثم فتح الباب فوجد الكابتن ايرس وقد جلس يتصفح كتابا فقال له فيرتشايلد :
ـ لقد فاتك ما كنا فيه »
فقال ايريس :
ـ فاتني هذا ؟ »
فسرد عليه ما حدث وكيف ان تاليافيرو سقط في الماء »
واخذ الرجل السامي الكتاب من يد ايرس وقال له :
ـ ما هذا ؟ »
وحدق الرجل السامي فيه فقال ايرس :
ـ لقد كنت أسلي نفسي ، برغم اني فقدت هواية القراءة الآن »
فقال السامي :

ـ ان الحرب شر ، ماذا كنت تقرأ ؟ .
فقال الكابتن ايرس وقد رفع الكتاب مرة أخرى :
ـ انني فقدت هواية القراءة ..
وطلب فيرتشايلد بعض الشراب ثم قال :
ـ دعنا من هذا الكتاب .
فقال الرجل السامي :
ـ لا شأن لك به .. تناول الشراب .
وراح الجميع يتناقشون حـــول جـــدوى كتاب الجمهورية لافلاطون ، واحتدم النقــاش دون الوصول الى نتيجة او الاتفاق على رأى .

الساعة الخامسة

اقبل المساء كئيبا وافترش دافيد الأرض قرب احدى الاشجار وظل على تلك الحال فترة من الزمن ، نهض بعدها واخذ يبحث عن باتريشيا فوجدها تقف مستندة الى جذع الشجرة بلا حراك .. والضباب يخيم على المكان ، وهناك نار خفية .
وقالت باتريشيا :
ـ انه المأزق ، انها غلطتى ، انني آسفة يا دافيد،ماذا سنفعل؟ .
وتطلعت اليه وكررت السؤال مرة اخرى .
فقال :
ـ افعلى ما بدا لك .
فقالت :
ـ تعال الى هنا يا دافيد .
فجاء متثاقلا يجر قدميه فى الطين ، وتطلعت لحظة اليه دون حراك وامسكت به قائلة :
ـ الا تستطيع ان تفعل شيئا ؟ الا تستطيع ان تغير ماحدث؟ .
فقال دافيد فى صوت متهدج :
ـ ماذا تريدين أن أفعل ؟ افعلى أنت ما بدا لك .
فقالت باتريشيا :
ـ ما أنا الا حمقاء .. على حد تعبير أخى .

فقال دافيد :
ـ لابد لنا من الخروج .
فقالت باتريشيا :
ـ اخبرني ماذا ترى وسافعل ما تقول .
فقال دافيد :
ـ ان الأمر على ما يرام .
فقالت باتريشيا :
ـ ليس الأمر كذلك .
وتناهي الى أسماعهما صوت خافت بعيد فقال دافيد :
ـ انه صوت قارب ، اننا على مقربة من البحيرة .
ـ نعم لقد سمعت الصوت منذ برهة ، وهو يقترب منا ..
من الأفضل أن تسترد قميصك .. أدر ظهرك لكي أخلعه .

الساعة السادسة

وقال أحد البحارة الى دافيد وباتريشيا :
ـ انني أعرف أين الزورق الخاص بكما ، انه على بعد ثلاثة أميال في البحيرة ..
ووضع الرجل صفيحة ملء على حاجز شرفة منزله الذي يقع عند نهاية الغابة ، ثم وقف في الشرفة وراح يرقب باتريشيا وهي تصب الماء من الصفيحة على راسها .
ثم سألها قائلا :
ـ هل كنتما تجولان في المستنقع طوال النهار ؟ . لماذا تريدان العودة الآن ؟ .
واستشاط دافيد غضبا الا أن باتريشيا هدأته وقالت :
ـ لنعد الى الزورق أولا ! كم تريد ؟ .
فقال الرجل :
ـ خمسة دولارات مقدما .
ـ هاك النقود .
وتوجه الاثنان الى زورق الرجل ثم ركبا فسار بهما الزورق .

وقال لها البحار :

ـ من الخير أن ترافقي رجلا آخر في المرة القادمة .

ـ اسكت ! دعه يسكت يادافيد .

فحدق الرجل في وجهها وقال :

ـ اسمعي !.

ـ اصمت . لقد اخذت أجرتك فدعنا نذهب .

فقال الرجل :

ـ حسنا .

ثم شتمها بعبارات نابية .

فنهض دافيد من مكانه وهم أن يتشاجر معه غير أن باتريشيا حالت بينه وبين الرجل وهي تصب جام غضبها ولعنتها عليه وقالت :

ـ هلم بنا . اذا تفوه بكلمة ؟ فالق به يادافيد في الماء .

وسار الزورق بهما حتى خرجا من النهر الى البحيرة وكانت الشمس قد مالت الى الغروب .

توقف الزورق قرب اليخت فصعدت باتريشيا ومعها دافيد .

ولم يكن هناك احد على سطح اليخت .

وعاد الزورق من حيث أتى .

وقالت باتريشيا :

ـ دافيد انني آسفة !.

ثم امسكت به وطبعت قبلة على جبينه ثم تركته ونزلت الى اسفل اليخت .

ووجدت الآخرين يتناولون طعام العشاء .

واستقبلها الجميع بدهشة ولكنها تجاهلتهم .

وقالت لها العمة مورين :

ـ اين كنت ياباتريشيا ؟.

ـ كنت اتنزه .

ـ باتريشيا ؟ ! .

ـ انني مدينة لك بستة دولارات يا آنسة جيمسون .

واعطتها النقود ، ثم اعطت السيدة وايزمان دولارا وقالت لعمتها :

ـ سأعطيك الباقي عندما نصل الى المنزل . ولقد اعدت اليك الخادم فليس هناك ما يدعو الى الانزعاج .

فقالت السيدة مورين :

ـ الم يأت المستر جوردن معك ؟.

ـ لم يكن معي او لماذا كنت آخذه معي طالما معي رجل آخر ؟.

فأربد وجه السيدة مورين وشحب ثم صاحت :

ـ باتريشـــــــــيا !.

ـ أف لكم .. انني جائعة !.

الســــاعة التاســعة

جلست جيني في المساء تتساءل كيف يستطيع الكابتن ايرمن ان يرتدي الملابس الكاملة في هذا الجو الحار .

واقبل الـكابتن نحوها وقال :

ـ انك تستمتعين بســـكون الماء !.

وكانت هي في ملابس باتريشيا اشبه بفاكهة حان قطفهـــا شقراء فاتنة .

وقال الكابتن :

ـ لقد كنت في طريقي الى اسفل اليخت .

وكانت جينى أشبه بزهرة يانعة .

واستدار ايرس كانما سمع اسمه من الخلف ثم استطرد قائلا

ـ هل أنت من نيواورليانز .

فقالت :

ـ انني من اسبلاناد ، انه شارع في نيو أورليانز .

فقــال ايرمن :

ـ هل تحبين الاقامة هناك ؟.

ـ لست ادرى ولكنى أقيم هناك بصفة دائمة .

ـ لقد كنت أنوى الهبوط .

ـ انها ليلة جميلة يطيب فيها السمر .

ـ الســـــمر .

ـ أين ستذهب أنت والرفاق ؟.

ـ ربما الى مانديفل .

ـ لقد كنت هنــــاك .

ـ هل تذهبين الى هنـــاك كثيرا .

ـ أحيــــــانا .

ـ هل تذهبين مـــع أحــــد ؟.

ـ نعم فلا أعتقد أن احدا يذهب الى هناك بمفرده .

ـ نفترض أننى ذهبت معك الى هنـــاك غدا ؟.

ـ غـــــدا ؟.

ـ النيه .. فمـــا قـــولك ؟.

ـ هل نستطيع ذلك الليلة ؟ وكيف نذهب ؟.

ـ مثل أولئك الذين ذهبوا صباح اليوم ، هناك ترام أو اتوبيس أو قطار فى أقرب قرية . أليس كذلك ؟.

ـ لست أدرى لقد عادا فى زورق .

ـ فى زورق ؟ سنذهب غدا اذن .

ـ حسنا .

ثم تولى عنها ايرس وانصرف فأرسلت زفرة طويلة .

وحملقت جينى فى الماء وراحت تفكر فى الموت واليأس ؟ فشعرت بخوف ورعب شديدين .

وعندما وقف تاليافيرو الى جانبها عرفته بالغريزة ، وافاقت من تخيلاتها .

وقالت جينى :

ـ لقد اخفتنى .

ثم جرت مسرعة نحو الضوء ودلفت الى غرفتها ، وكانت الغرفة مظلمة حارة فاضاءتها، ولم تجد السيدة وايزمان هناك فخلعت ملابسها ثم اندست فى الفراش .. ولم تطفىء الضوء وظلت مستيقظة دون حراك لاتدرى ماذا تريد.. واقبلت السيدة وايزمان وشاهدت القلق الذى ينتاب جينى فسألتها عما بها ولكن الفتاة نسيت كل شىء ثم فتحت عينيها وقالت :

ـ هل تعتقدين ان مستر جوردن غرق ؟.

فقالت السيدة وايزمان وهى تداعب وجناتها

ـ لست أدرى ، انه انسان غير محظوظ ، وقد يحدث اى شىء لرجل تخلى عنه الحظ ، لاتشغلى بالك بهذا الأمر .

* * *

قال فيرتشـــايلد :

ـ هل تعتقدون انه ذهب لأن باتريشيا هربت »

فقال مــارك :

ـ هل اغرق نفسه بسبب الحب ؟ ان الناس ينتحرون بسبب المــال او المرض لا بسبب الحب »

فقال فيرتشايلد محتجـــا :

ـ لست أدرى . لقد اعتــاد الناس أن يموتوا بسبب الحب ؟ والطبيعة البشرية لاتتغير »

فقال الرجـــل السـامى :

ـ إن مارك على صواب ، فان الناس يموتون بسبب الحب ايضــا »

فقـــال مارك :

ـ ان الذى يعتقد أن حبه قد فشل يمكنه أن يضع كتـــابا عن هذا الحب للانتقام .. ان الذى يفشل فى الحب لا يقدم على الانتحار وانما يؤلف كتابا »

فقال فيرتشـــايلد :

ـ لست أدرى ، فالناس يفعلون أى شيء ، وان الطريقة التى ذهبت بها باتريشيا مع دافيد كانت غريبـــة . ثم عادت دون أى اعتذار ودون أى تفسير كأن شيئا لم يحدث هذا هو ما يعلمه لنا شبان ما بعد الحرب ، ولكنى أعتقد أن الناس امثالنا سينظرون الى الحياة التى ورثوها فيرون الشر فى كل شيء بحيث الرغبـة لا تنصاع للواجب. لقد تعلمنا أن الواجب مقدس والا ماكان واجبا ، ولكن المرء وهو شــاب قــد يخطىء كثيــرا وبعد ذلك يصل المرء الى مرحلة العمل ثم التفكير ثم يصـــل الى مرحلة الذكريات »

فقــــال مــارك :

ـ إن الحيــاة تلقى على كل شيء ظـــلا »

وبزغ القمر وراح يرسل ضوءه فيبدد الظلام بخيوطه الفضية على صفحة المـــاء .

وقال فيرتشايلد :

ـ قد يكون هنـــاك أناس اشبه بالظلال فى هذا العالم ، يرون الحياة ظلا باليا ولكنى لا اتأثر بهؤلاء الناس أبدا .

وجلس الجميع يتذكرون الشباب والحب والموت والزمن وقد ران عليهم السكون .

الساعة الحادية عشرة

ذهب مارك فروســت والرجــل الســـامى الى النوم ، وبقى فيرتشايلد الذى راح ينظر الى صفحة الماء ، ثم تطلع الى الحاجز الخلفى لليخت فوجد شخصا يجلس هنــاك وحيدا دون حراك .

وكان فى مظهره شىء يثير فضول فيرتشايلد فنهض من مكانه وتوجه الى هنــــاك فوجد دافيد رئيس الخدم يمسك بشىء فى يديه .

وكان حذاء نسائيا علاه الطين .

ثم نهض دافيد وانصرف دون أن ينظر الى فيرتشايلد .

اليوم الرابع

الســــــاعة الســــــابعة

نهض فيرتشايلد من نومه فشاهد قصاصة ورق أسفل الباب فأخذها وقرأ فيها ما يلى :

عزيزى مســـتر فيرتشايلد !

اننى أترك اليخت اليوم ، فقد عثرت على عمل أفضل ، اننى أغادر الزورق قبل انتهاء الرحلة .

اخبر السيدة موريز بذلك ، واطلب منها ان تدفع خمســـة دولارات أخذتها منك .

المخلص دافيد ويست

واعاد فيرتشايلد قراءة القصاصة مرات ثم وضعها فى جيبه وراح يستعيد ذكريات شـــبابه .

الســــاعة الثامنة

قال الجميع للسيدة مورين :

ــ لاتقلقي ابدا ، نستطيع أن ندبر الأمر بدون خادم »

فقالت مسز جيمسون :

ــ إنها نزهة وعلى الرجال ان يمدوا يد المساعدة .

ونظرت الى بيت وقامت السيدة وايزمان ،والآنسة جيمسون وباتريشيا باعداد الطعام .

وعلى مائدة الطعام قال فيرتشايلد :

ــ لقد رأيت مستر جوردن في الزورق ونحن عائدون الى اليخت »

فقـــــال هـــارك :

ــ كلا ، انه لم يكن في الزورق ، عندما عدنا ، انني اذكر ذلك تمـــــاما »

فقـــــال يوليوس الســـــامي :

ــ هذا صحيح ، هل هناك احد يذكرانه شاهده في الزورق،

فقــــال فيرتشــــايلد :

ــ لقد كان معنا ، الا تذكر أن مارك كان يضربه بالمجـاديف ، انني اذكر ذلـــك »

فقال هـــارك :

ــ لقـــد كان في الـــزورق منـــذ البداية »

فقالت السيدة مورين :

ــ لست ادرى ماذا نفعل الا انه أمر فظيـــع »

فقال فيرتشايلد :

ــ انه سيعود حالا .. انه لم يغـــــرق »

فقالت باتريشـــــيا :

ــ واذا غرق ؟ فسنجده على كل حال ، فالماء ليس عميقا »

الســـــاعة التاســــعة

وقف بينت وجيني وباتريشيا واخوهــا قرب حاجز اليخت فراح فيرتشايلد ينظر اليهم ويقــــول :

ــ عجبا لهؤلاء الشباب يتحدثون عن الحياة دون هموم !.

واخذت السيدة وايزمان تتحدث عن التقاليد واختلافها .

وقال مــارك :

ــ هل تتحدثون عن الحــرية ؟.

فقــــال وايزمان :

ــ ان المرء لا يحتاج الى حرية ، لا يمكننا ان نتحملها ،ان الحياة واحدة في كل مكان وان اساليب الحياة قد تختلف بين قرية واخرى بسبب ظروف العمــل ، والتاثيرات الاخرى .

الســــاعة العـــاشرة

وقفت جيني تنظر الى جوشن وهو يمسك منشاره وقالت :

ــ ان الجـــو منـــاسب للســـمر .

فقـــال :

ــ ماذا ؟ ماذا يقلق بينت ؟.

ثم توقف جوشن عن تحريك منشاره على قطعة الخشب .. وراحت جيني تمشي أمامه ، ثم قالت :

ــ اين ساجلس ؟.

فافسح لهــا مكانا ثم قــال :

ــ أين بينت ؟.

ــ إنه هنــاك .

ــ ان لدي عملا ، اذهبي الآن .

فانصرفت جيني بعد لحظة ! .

الساعة الحادية عشرة

أخذ الجميع يتحدثون عن الشـعر القديم والحديث والفن ، وراح بعضهم يلقى أبياتا فى الشعر والغزل والحب فى أثناء المراهقة .

ثم قال فيرتشايلد :

ــ ان ما يعيب الشعر الحديث هو انك لـكى تستوعبه يجب أن تكون قد مررت بتجربة عاطفية تشبه تلك التى مر بها الشاعر .

ان شعر الشعراء المحدثين أشبه بزوج من الأحذية لايستطيع أن يلبسه الا من كانت قدماه تماثل اقدام صانع الحذاء .

على حين كان الشعراء القدامى يخرجون قصائد للجميع .

الساعة الثانية عشرة

توجه الجميع الى قاعة الطعام لتناول الغداء ، وكانت النسمات تهب نطيفة من الشاطىء وتقـــدم بيت الجميع ليبحث عن قبعته التى فقدها .

وقالت السيدة موريو :

ــ آه اجلسوا أيها السادة ، ان الخادم قد هرب ، وان الأمور غير منتظمة ، كما ان مستر جوردن اختفى ولعله غرق .

فقال فيرتشايلد :

ــ انه على ما يرام وسيظهر فى الوقت المناسب .

فقالت باتريشيا :

ــ لا تكونى حمقاء يا عمتى ؟ . لـماذا يغرق جوردن ؟

فقالت العمة موريو :

ــ اننى تعسة لأن أشياء كهذه تحدث لى كما ترون .

فقالت باتريشيا :

ــ انه بشع ومغرور فى نفسه ، ولديه من الأسباب مايدعوه الى الفرق .

فقالت موريو :

ــ ولـكن الشخص لا يعرف ماذا يفعله الآخرون من أجله ؟

فقالت باتريشيا :

ـ واذا كان قد غــرق في المــاء فأعتقد أنه يريد ذلك وهو لا يتوقع منا ان نجتمع هنا وننتظر قدومه . انني لم أسمع ان احدا اختفى دون أن يترك مذكرة أو ورقة هل سمعت بغيــــر ذلك يا جيني ؟» .

وكانت جيني تجلس مترقبة ثم تساءلت قائلة :

ـ هل غرق ؟ لقد شاهدته في مانديفل ذات يوم »

وقالت باتريشيا :

ـ اذا لم يكن مستر جوردن قــد غرق فمن الأفضل أن يظهر بسرعة لأننا يجب أن نعود الى المنزل .

فقالت العمة مورين :

ـ هل يجب أن تعودي الى المنزل ؟ كيف ستعودين ؟» .

وقالت تلك الكلمات في لهجة تنم عن السخرية .

فقال مارك فروست :

ـ ربما سيصنع لها أخوها زورقا بمنشاره .

فقال فيرتشايلد :

ـ انها لفكرة جميلة ، أليس لديك يا جوشن فكرة لكي نعود ؟» .

فقال جوشن :

ـ لا تفكر في ذلك مرة أخرى »

فقالت باتريشيا :

ـ يجب أن نعود ، ان في استطاعتكم أن تظلوا هنا ؟ ولكن يجب أن أعود مع جوشن الى نيو اورليانز» .

فقال مارك فروست الشاعر :

ـ وهل تعودين عن طريق مانديفل ؟» .

فقالت مورين :

ـ ان سفينة السحب ستصل بين حين وآخر »

فقالت باتريشيا للمستر فروست :

ـ أنت خفيف الظل ، أليس كذلك ؟ » .

فقال مارك :

ـ يجب أن أكون كذلك والا فلا ».
فقالت باتريشيا :
ـ يجب ان نعود ، فسنذهب انا واخى الى نيوهافن فى الشهر القادم .
فقال جوشن :
ـ اهذا صحيح ؟ اسمعى . هل تريدين ان تقتفى اثرى طوال حياتك ؟ .
فقالت باتريشيا :
ـ سأذهب الى ييل ، لقد قال هانك ذلك ».
فقال فيرتشايلد :
ـ هانك .. من هو هذا ؟».
فقالت العمة موريو :
ـ ان هذا هو اسم أبيها ».
فقال جوشن :
ـ لن تستطيعى الذهاب ، على اللعنة اذا جعلتك تقتفين اثرى طوال العمر ، اننى لا استطيع الحركة بسببك ».
فقالت باتريشيا :
ـ اصمت .. اننى ذاهبة ».
فقال فيرتشايلد :
ـ وماذا ستفعلين هناك ، عندما يكون جوشن فى الكلية ، هل ستعملين ؟ .
فقالت باتريشيا :
ـ سأجول هناك فى الأندية ، اننى لن أزعجه ».
فقــال جوشن :
ـ لن تذهبى .
فقالت باصرار وعناد :
ـ اننى ذاهبة ، لقد قال هانك ذلك ».
فقــال جوشن :
ـ لن ترينى أبدا ، ولن أدعك تلاحقيننى ».

فقالت باتريشيا !

ـ وهل ستكون وحدك هناك ؟ انني لست ذاهبة لاضاعة الوقت هناك . سأذهب الى أماكن لن تدخلها الا بعد ثلاث سنوات عندما تتخرج .. لا تقلق بشأني »

فقال جوشن :

ـ اصمتي .. فربما أرادت احدى السيدات أن تبدي رأيا »

الســاعة الثانيــة

أقبلت جرارة السفن وهي تشق عباب الماء من ناحية الجنوب وهي توحي بسحر غريب .

فقال مارك فروست :

ـ انظر الى ذلك الزورق »

فصاحت السيدة مورير وكانت تقف خلفه !

ـ انها جرارة السفن ، لقد وصلت الجرارة أخيرا ، وراح الجميع يهتفون ويهللون .

وقالت السيدة مورير !

ـ لقد وصلت الجرارة ونحن نتناول الفداء ؟ هل أخطرتم القبطان بذلك ؟ يا مستر تاليافيرو »

واندفع تاليافيرو الى الأمام ووقف الجميع على ظهر اليخت وراحوا يحدقون النظر في جرارة السفن .

وصاح تاليافيرو : أيها القبطان ؟ »

ولم يرد عليه أحد فقال !

ـ لابد انه نائم .

وقالت مورير : واخيرا سنغادر هذا المكان ، لقد حضرت الجرارة . لقد طلبت استدعاءها منذ أيام ، ولكن اصبح باستطاعتنا الآن أن نسير ، أين القبطان ؟ يجب الا ينام في مثل هذا الوقت ! »

وقال فروست :

ــ ولكن ماذا بشأن جوردن ؟ »

فقالت الآنسة جيمسون :

ــ دعنا نذهب أولا ...

وقال تاليافيرو :

ــ لقد استدعيت القبطان ولكن يبدو انه نائم في غرفته »

وقالت السيدة مورين :

ــ لابد أنه نائم .. هل يتفضل احد »

فقال تاليافيرو :

ــ سأذهب أنا »

وقال فيرتشايلد :

ــ يجب أن نكون على استعداد تام عندما تبدأ الجرارة بسحب اليخت ...

فقال مارك فروست :

ــ هذا صحيح .. يجب ان ننزل الى أسفل اليخت ، ونحزم امتعتنا .. اليس كذلك ؟»

فقال فيرتشايلد :

ــ لسنا عائدين الى المنزل ، لقد بدانا رحلتنا منذ فترة بسيطة اليس كذلك أيها الأصدقاء ؟ ! »

وتطلع الجميع نحو السيدة مورين فحولت عينيها ثم قالت :

ــ بالطبع لا .. اذا كنتم لا تريدون العودة ... ولكن القبطان اين هو ؟ يجب أن نكون مستعدين »

فقالت السيدة وايزمان :

ــ حسنا .. فلنستعد ...!

فقال مارك :

ــ لا أحد يعرف شيئا عن ادارة الزوارق الا فيرتشايلد »

وعاد تاليافيرو بدون القبطان »

وقال فيرتشايلد :

ـ انا ؟ ! لقد عبر تاليافيرو المحيط ، وهناك الكابتن ايرس ؟ ان جميع البريطانيين لهم خبرة فى البحر ».

وصاح تاليافيرو مرتاعا :

ـ كلا .. ليس هذا صحيحا !

ونظرت السيدة موريو نحو فيرتشايلد قائلة :

ـ هل تتولى زمام الأمور ريثما يحضر القبطان ؟».

وتطلع فيرتشايلد حوله بيأس وقال :

ـ ماذا سأفعل ؟. هل أصعد فوق سطح اليخت ومعى كيس من الرمل ... ثم انثر الرمل ؟».

فقالت السيدة وايزمان :

ـ ان شخصا مثلك اظهر تفوقه خلال الأسبوع الماضى يجب أن يعرف كيف يتدبر امره ».

فقال فيرتشايلد :

ـ لقد فكرت الا اصعد فوق سطح اليخت ولكن يبدو ان هذا لن يكون ».

فقالت الآنسة جيمسون :

ـ ينبغى أن تمسك الحبال بهذه الطريقة ، هم يفعلون ذلك فى كل السفن ، لقد قرأت ذلك ».

فقال فيرتشايلد :

ـ حسنا سنمسك الحبال ، أين هى ؟ ».

فقالت وايزمان :

ـ هذه هى مشكلتك ... انت القبطان الآن ».

فقالت السيدة موريو :

ـ سنبحث عن بعض الحبال ونمسك بها هل تسمحين بذلك ؟».

فقالت وايزمان :

ـ الا يوجد ما تستطيع أن تلوح به كاشارة ؟».

فقال فيرتشايلد :

ـ نعم ! لنمسك الحبال ، ونستعد ، هلموا أيها الرجال !».

وراح فيرتشايلد يمسك بالحبال ثم قال :

ـ انني أتساءل عن مكان القبطان ، من المؤكد انه لم يغرق .. هل تعتقد ذلك .

فقال الرجل السامي :

ـ لا اعتقد ذلك ، انه يتلقى أجرا على عمله . ها قد أقبل زورق من الجرارة .

وربطوا الحبال بشيء ما وكشف الكابتن ايرس انهم ربطوا الحبل بشيء متحرك يسقط من مكانه عند أقل حركة ففكوا الحبل وربطوه بشيء مثبت على ظهر اليخت .

وقال صاحب الزورق :

ـ أين غرق ذلك الشخص ؟ .

فقال فيرتشايلد

ـ لقد فقدناه بين هذا المكان والشاطيء .

فقال صاحب الزورق :

ـ هل ستمنحونني مكافأة ؟ .

فقال فيرتشايلد :

ـ مكافأة ؟ .

فقالت السيدة مورين :

ـ مكافأة . نعم لقد عرضنا مكافأة .

فقال الرجل :

ـ كم ؟ .

فقال السامي :

ـ عندما تجده أولا ستحصل على مكافأة .

فقال فيرتشايلد :

ـ لقد بدأنا الرحيل فاذهب وابحث عنه وسنحضر في الزورق ونساعدك وتحصل على مكافأة .

وتحرك الزورق وامسك الرجال بالمجاديف واستعدوا للعمل . وتبع الزورق زورق آخر ، وسار الزورقان بقيادة فيرتشايلد

وكانت الشمس شديدة الحرارة ، وراح الزورقان يسيران ببطء شديد وتحرك زورقان آخران ، وبدات الزوارق الأربعة عملية البحث هنا وهناك وكان الوقت بعد الظهر ، وقد وقف اليخت والجرارة دون حركة في جو مشمس بديع .

وسلكت الزوارق الطريق الذى سلكه ركاب اليخت فى الأمس وهم يبحثون دون جدوى .

وكان الماء راكدا كأنما لا يبالى بما يفعله هؤلاء الناس .

ورفع فيرتشايلد رأسه وتطلع نحو شخص فى زورق بخارى وقال :

ـ هل أنت شبح أم أنا واهم ؟!.

فقد كان جوردن يجثم فى الزورق البخارى القادم .

ومضى يحدق بعضهما الى بعض ، وجاءت بقية الزوارق .

وقال صاحب الزورق :

ـ هل هذا الذى تبحثون عنه ؟ أم تريدون الذهاب الى مكان آخر ؟ .

فضحك فيرتشايلد ضحكة هستيرية .

الساعة الرابعة

عاد الزورق الصغير والزورق البخارى دون أن يحصل صاحب الزورق على مكافأة واطلقت الجرارة صفارة الرحيل .

واتجه اليخت الى الأمام مرة أخرى .

وحدقت السيدة مورين فى وجه جوردن ولوحت بيدها كأنها تريد ذبحه .

وقال فيرتشايلد :

ـ لقد رأيتك بعد عودتنا فى الزوق .

فقال جوردن :

ـ ما كنت تستطيع ذلك ، فقد غادرت الزورق بعد سقوط نااليافيرو .

فقال الرجل السامى يوليوس :

ـ ألم أقل لكم ذلك ؟ »

فقال فيرتشايلد :

ـ ولكنى رأيته .»

ـ لو قلت ذلك مرة اخرى فسأقتلك »

وقال السامى لجوردن :

ـ هل اعتقدت ان دوسون فيرتشايلد قد غرق ؟»

ـ نعم .. اعتقدت ذلك .

ـ هل هذا الذى جعلك تعود ؟ »

فوقف جوردن صامتا ثم رفع رأسه ونظر الى الجميع شزرا وأمسك فيرتشايلد بيد الرجل السامى وقال :

ـ ليست هذه هى المشكلة . ان المسالة هى هل سنشرب الليلة أم لا ؟ .

فقال الرجل السامى :

ـ نعم هذا صحيح ، يجب ان يحتفل جوردن بعودته الى الحياة .»

فقال جوردن :

ـ كلا .. لا أريد شيئا »

فاحتج السامى ولكن فيرتشايلد أسكته ؟ وعندما اتجه جوردن نحو الباب نهض وتبعه الى الممر .

وكان ظهر اليخت خاليا ولكنه تمهل ، وسرعان ما اقبلت باتريشيا حافية القدمين .

ومدت اليه يدها قائلة :

ـ لقد هربت .»

فقال جوردن :

ـ وأنت كذلك ؟ »

فقالت باتريشيا :
ـ حسنا وقد عدت »
فقال جوردن :
ـ وانا كذلك »

الساعة الخامسة

فقالت السيدة موريو :
ـ اننا نسير مرة أخرى »
فقالت وايزمان :
ـ ليس هناك من جديد »
فقال تاليافيرو :
ـ كنت أريد أن أقول شيئا »
غير ان السيدة موريو نظرت اليه فسكت »
فقالت وايزمان :
ـ مساكين ، ! لقد اضطروا الى الوقوف طويلا خلال الايام الماضية .
فقال تاليافيرو :
ـ الشباب ! شباب !
وقالت السيدة موريو :
ـ إننا نسير مرة أخرى على أية حال »

الساعة السادسة

وقفت باتريشيا بجوار جوردن فوق سطح اليخت وقال لها :
ـ هل تدرين ماذا قال كيرانو ذات مرة ؟ لقد كان هنالك ملك عنده كل شيء ويمتلك كل شيء من مجد وثروة وعظمة .
وجلس عند المساء في بلاطه حيث خرير الماء وغناء العصافير وراح يتطلع الى قباب المدينة والى العالم »
فقالت : كلا ! ماذا ؟ »

ولكنه نظر اليها بانزعاج ! واضافت :

ـ ماذا قال ؟ هل كان يحبها ؟ .

ـ اعتقد ذلك ، ولا تستطيع أن تتركه ايضاً .

ـ وماذا فعل لها ؟ هل حبسها الناس ؟.

ـ نعم .. لقد حبسها في كتاب .

ـ في كتاب ! اوه ! هـــذا ما فعلته أنت . أليس كذلك ؟ مع تلك الفتاة المصنوعة من رخام بدون ذراعــين أو ســاقين .. أليس من الأفضل أن تجـــد فتاة حقيقيـــة بدلاً من التمثال . ألم تحب أحداً ؟ .

ـ نعــم .

ـ لقد عرفت ذلك ، يبدو انه لا توجد هناك امرأة تريد اضاعة الوقت مع قطعـــة خشب أو ما شابه ذلك . يجب أن تخرج من سجن نفسك . كم عمرك الآن ؟.

ـ ستة وثلاثون .

ـ ســتة وثلاثون ! وتعيش في ســجن مع قطعة صخر مثل الــكلب الذي يعيش مع قطعة من العظم .

يا للسماء .. لمــاذا لا تتخلص من ذلك ؟ .

ولــكنه راح يحدق فيها ..

فقالت : اعطني هذا التمثال .

فقال جوردن : كلا .

وتطلعت اليه بشيء من الضجر وقالت :

ـ ماذا ستفعل به ؟ هل لديك سبب للاحتفاظ به ؟ ساعطيك عشرين دولاراً و١٧ نقداً .

ولكنه واصل النظر اليها كأنه لم يسمعها ثم قال لها :

ـ لا .

ـ انك تدفعني الى الجنون . الا تقول شيئاً غير كلمة : لا ؟ .

ثم راح يداعبها ويضع يده على وجهها كما يفعل المثال لــكي يعرف تقاسيم وجه تمثاله .

فانتفضت وقالت :

ـ ماذا تفعل ؟ »

ـ أريد ان اتعرف على وجهك »

ـ هل تريد ان تنحت لي تمثالا ؟ هل تستطيع ؟ »

ـ نعـــــم »

ـ هل يمكنني أن أحصل عليـه ، اصنع اثنين منه ؟ واذا لم تفعل ذلك فاعطنى هذا التمثال الذى معك . وسأقف أمامك لـكي تصنع هذا التمثال ؟ ما رأيك ؟ »

ـ هـذا ممكن .

ـ افعل اذن ... هل درست وجهى ؟ »

ثم نهضت من مكانها وهى تقول :

ـ ادرسه جيـداً »

وراح يتمم لها قصـة الملك فقـال أن الخادم رافق الملك فى الشوارع والطرق يحافظ عليه ويخدمه وقال له ذات مرة :

ـ آه يا سـيدى . لقد أحببت فتاة من تلال جورجيا عندما كنت شابا منذ وقت طويل ، ثم توفيت »

فقاطعته قائلة :

ـ الا تعطينى التمثال ؟ »

ـ نعـم .

ثم تحولت عنه وعادت فنظرت اليه مرة ثانية وقالت :

ـ سأعطيك خمسة وعشرين دولاراً »

ـ كـــلا »

ثم انصرفت وقال يحدث نفسه :

ـ ان اسمك أشبه بالجرس الذهبى الصغير داخل قلبى »

وواصل اليخت سيره ؟ وأرخى الليل سدوله »

الساعة السابعة

توقف جوردن عند مدخل الممر وراح يفكر ، وجلس الجميع حول مائدة الطعام يتناولون العشاء ، وكان هناك أربعة مقاعد خالية لم يصل أصحابها بعد .

ان لديه وقتا ليذهب الى غرفته ثم يعود .

وتطلعت باتريشيا فرأته فسألته اذا كان يريد أن يأكل .

فتردد لحظة ثم جلس فى النهاية .

فقال فيرتشايلد فرحا :

ـ يا الهى .

فقالت السيدة وايزمان :

ـ اجلس يا دوسون ، لقد صادفنا الكثير فى هذه الرحلة .

فقال موافقا :

ـ أعتقد ذلك فعلا ، وهذا ما نفكر فيه أنا ويوليوس والكابتن ايرس عند كل وجبة طعام ، وعندما نحضر الى المائدة ، ماذا ترون ؟ .

فقال مارك :

ـ سآكل البرتقال الهندى أولا .

فقال ايرس :

ـ لدينا الكثير من ذلك ، اليس كذلك ؟

فقالت السيدة موريز :

ـ بلى .. لدينا الكثير منه .

فقالت وايزمان :

ـ اجلس يا دوسون ، دعهم يجلسوا يا يوليوس .

فجلس فيرتشايلد وقال :

ـ أن الجسم البشرى يمكن ان يواجه كل شيء ، فيمكن ان يشرب المرء ثم يرقص طوال الليل .

وقالت السيدة وايزمان للآنسة جيمسون :

ـ خذى هذا البرتقال ، انهم يريدون البرتقال الهندى »

وقال فيرتشايلد :

ـ ان الجسم البشرى يتحمل أن آكل برتقالة أخرى »

اسمع يا يوليوس . لقد كنت أنظر الى ظهرى اليوم فوجدت الجلد يتصلب ويجف ويأخذ لونا أصفر . واذا استمر الحال كذلك فلن اجرؤ على خلع ملابسى أمام الناس »

وقال مارك فروست :

ـ سأخرج من هنا »

فقالت السيدة وايزمان :

ـ هل انتهيتم من الكلام ، لنصعد الى سطح اليخت »

فقالت السيدة مورين محتجة :

ـ لا يا مستر فيرتشايلد »

ونهضت السيدة مورين وقالت :

ـ لقد وطأت قدمى شيئا .

فنهض بيت وصاح اذ كانت قبعته تحت قدم السيدة مورين »

وقالت باتريشيا :

ـ ماذا بخصوص آل جاكسون ؟»

فقال فيرتشايلد :

ـ ان جاكسون العجوز يدعى انه من أحفاد هيكورى ، وهى أسرة عريقة من الجنوب تحتفظ بكبرياء الأسر العريقة فى تلك المنطقة . ويحتفظ آل جاكسون بشيء كثير من الكبرياء ، ولذا فهو لا يخلع حذاءه الا اذا كان مع أحد من الناس . وسأروى لكم سبب ذلك :

«كان جاكسون من أصحاب المكتبات أو ماشابه ذلك ويتقاضى أجرا بسيطا لاعالة أسرة كبيرة .

وكان يريد تحسين حاله بأقل جهد وعمل بصفته ينحدر من عائلة جنوبية عريقة ، ولذا تراءت له فكرة أخذ قطعة من مستنقعات لويزيانا وتربية ماشيـــة فيها ، ولابد انه شـــاهد كثرة الاعشاب والنباتات التى تنمو هناك ، وتخلص من عمله فى المكتبات وابتاع بضعة أفـــدنة من مستنقع نهر تشو فونكتا وأطلق فيها المـاشية مستغلا اموال عم زوجته .

ولـكن المـاشية بدأت تفرق نفســـها فى المستنقع ، لذلك صنع لها أحزمة نجاة من الأخشاب التى ورثها من عم زوجته من امرة نيسى ، بحيث اذا غطست المـاشية فى مياه المستنقع طفت على وجه المـاء ، فيعيدها التيار مرة أخرى الى اليابسة .

وسارت الأمور على ما يرام الا ان الماشية ظلت تتناقص وتختفى ، ثم وجد ان بعض الناس يستولون على الماشية ، فصنع من الخشب ما يشبه المـاشية ، ثم ابتـدع حيلة أخرى ، وصار يثبت قرونا خشبية فى رأس النعاج والخراف عند ولادتها .

وقد أدى ذلك الى تخفيف خسائره الى حد لا يستحق الذكر .

وبعد فترة من الزمن ، تلفت أحزمة النجاة ، ولـكن المـاشية كانت تعلمت كيف تسبح .

لذلك رأى جاكسون انه من المستحسن عدم استخدام أطـواق النجاة ، واصبحت الماشية تحب الماء .

وعندما كان يحين وقت اطعام الماشية كان يضطر هو واولاده الى استخدام الزوارق لاخراج الماشية من المستنقع .

واصبحت القطعان لا تخرج من الماء .

وتعلمت السباحة الى حد جيد ، فاستحال عليه واولاده اخراجها من الماء بسهولة ، فاضطر الى استعارة زورق بخارى .

وعندما امسكوا برأس من الماشية وجدوا ان الصوف لم ينم الا فوق ظهره فقط ، وأما بقية الجسم فكان اشبه بجلد السمك كما ان ذيله ازداد طولا وعرضا كالاسماك وليست له أقدام طويلة .

ولم يتعرفوا على الخراف الصغيرة البتة .

ومرت الأيام ، ولم يروا الجيل الجديد من الماشـــية ، وأكلت الطيور ما اعدوه للماشية ، وعندما اقبل الموسم التالى لم يتمكنوا من الامسـاك بالماشية حتى بالزورق البخاري ولم يروا راسا منها فى ثلاثة اسابيع .

وكانوا يعرفون ان رءوس الماشية موجودة ، لأنهم كانوا يسمعون اصواتها فى أثناء الليل .

وكلما ازداد تفكير جاكسون العجوز فى ذلك ازداد جنونه .

وكان يقسم انه سيمسك بالماشية حتى لو اضطر لشراء زورق يقطع خمسين ميلا فى الساعة وشراء جهاز للغطس لهواولاده .

وكان له ولد يدعى كلود هو شقيق آل جاكسون .

وكان كلود شريرا ومقامرا وسكيرا .

وعقد كلود صفقة مع ابيه بحيث ياخذنصف كلراس من الماشية يمسك به وبدأ العمل .

ولم يكن يستخدم الزوارق أو أجهزة الغطس ، بل كان يخـلع ملابسه ، ويطارد الماشية ويمسك بها .

وتبين لهم ان الجيل الجديد من الخراف ليس له صوف ابدا. واما لحوم الخراف فكانت أفضل لحوم فى لويزيانا .

ومن اجل ذلك تخلى جاكسون عن تجارة الماشية ، وتحول الى التجارة الاسماك على نطاق واسع .

وكان يدرك ان التجارة الأولى لن تدر ربحا كبيرا طالما ان كلود يستطيع الامساك بالماشية .

فعقد ترتيبات مع اسواق نيو اورليانز فانهال عليه الشراء.

فقال الكابتن ايرس :

ـ يا للسماء !.

فقال فيرتشايلد :

ـ ورغب كلود العمل الجديد ، وكانت مغامرة لاقت هوى في نفسه ، فكرس لها جل وقته واقلع عن المقامرة والتجوال في الليل .

ومع مرور الايام استطاع أن يسبق قطيع الماشية في السباحة والغطس ، وأصبح يظل تحت الماء نصف ساعة أو أكثر .

وكان لا يخرج من الماء حتى للأكل ، فصاروا يحضرون له الطعام وهو في الماء.

وكانوا لا يرونه مدة أيام ، ولكنه استمر في صيد الماشية وارسالها الى حظيرة أعدها جاكسون لها .

وكانت في بعض الأحيان تطفو فوق سطح الماء قطعا من لحوم الماشية فاعتقد العجوز ان اللصوص هم الفعلة .

ومر اسبوع دون أن يشاهد أحد كلود ، وحدثت ضجة في حظيرة الماشية ذات يوم .

وشاهد كلود خلف أحد اللصوص .

ورأى ان اعين كلود قد مالت الى جانبي رأسه ، واتسع فمه وطالت أسنانه ، فعرف الاب سبب خوف اللص .

وكانت آخرة مرة يرى فيها كلود .

وحدث عقب ذلك أن عم الخوف شواطىء السباحة في الخليج ، وفزعت النساء وخاصة الشقراوات .

وعرفوا ان سبب ذلك هو كلود جاكسون .

وتوقف فيرتشايلد عن الكلام ، وجاءت باتريشيا نحوه ، وربتت على ظهره ، وكانت عيون جيني منصبة عليه دون أي تفكير .

أما الرجل السامي فكان يجلس فوق كرسي اشبه بالنائم .

وقالت باتريشيا :

ـ وماذا بعد ذلك . استمر في قصتك .

فنظر اليها بلطف ووعدها باتمام القصة فيما بعد .

وفتح الرجل السامي عينيه .

وقال الكابتن ايرس :

ـ كم ربحوا من تربية الأسماك .

فقال :

ـ ليس كثيرا فان الامريكيين لا يميلون الى السمك ، هلم بنا لنصعد ونرقص .

((الساعة التاسعة))

جلست جيني وباتريشيا تتجاذبان اطراف الحديث ، وقالت لها باتريشيا :

ـ ان الكابتن ايرس اخبرها بان تذهب الى مانديفل .

فسألتها جيني :

ـ ماذا قال ؟ انه كالأحمق .

ـ ان الرجال غالبا ما يلعنونك . فماذا فعلت لهم ؟ .

ـ لم افعل شيئا ، انني اتحدث اليهم فقط .

ـ ان تلك العبارات التي تستخدمينها قد تثير الرجال .

ـ وهل استخدمت انت تلك العبارات مع أحد ؟ .

ـ لقد حاولتها مع جوردن .

ـ وماذا قال ؟ .

ـ ضربني .

ـ حسنا ! .

« الســـاعة العاشرة »

راح المستر تاليافيرو يراقص جيني وبيت مع باتريشيا على حين أخذ الآخرون يتطلعون اليهم وقال فيرتشايلد :

ـ انظر يا كابتن ، انظر يا يوليوس ، الى باتريشيا وبيت .

ودخل حلبة الرقص وطلب من بيت ان يسمح له بمراقصـــة باتريشيا لــكي تعلمه كيف يرقص فقالت باتريشيا :

ـ حسنا سأعلمك .

وطلبت من بيت الا يذهب وأن يرقص مع جيني قليـــلا وراح الـكابتن ايرس والرجل الســـامي يرقصان ، وعنـدما انتهت الاسطوانة أدارت الآنسة جيمسون واحـــدة أخرى فطلب منها فيرتشايلد ان تضع اسطوانة معينة .

وتقدم الكابتن ايرس وطلب من باتريشيا أن ترقص معه على حين تخلى تاليافيرو عن جيني ورقص مع السيدة وايزمان ورقص الرجل السامي مع السيدة مورير .

واقبل جوردن من مكان ما وجلس في الظلام يراقب الراقصين فصاح به فيرتشايلد :

ـ هلم يا جوردن !

ثم توجه الى باتريشيا فتركها الكابتن وذهب الى جيني .

فقالت باتريشيا :

ـ لست أعرف انك ترقص .

فقال جوردن :

ـ ولماذا ؟

ـ يبدو انك لا تريد ذلك وقد اخبرت العمة بانك لا ترقص .
ـ انني لا استطيع .

ـ هل ستعطيني التمثال ؟.
فسكت ولم تستطع ان ترى وجهه بوضوح وقالت :
ـ لماذا لا تريد ان تعطيني اياه ؟.

فلم يحر جوابا . وعندما كفت الموسيقى عن العزف ذهب فيرتشايلد الى أسفل اليخت .

الساعة الحادية عشرة

وسار الجميع على مهل وعادوا الى سطح اليخت وقالت الآنسة جيمسون للمستر بينت :
ـ ماذا تفعل في نيو اورليانز ؟
فقال بيت :
ـ أشياء كثيرة ، فانني اعمل مع أخي .
فقالت الآنسة جيمسون :
ـ أعتقد ان لك عددا أكبر من الاصدقاء . اليس كذلك . لابد ان الفتيات يرغبن في الرقص معك . فأنت راقص بارع ؟ انني أحب الرقص .
فقال بيت :
ـ حسنا اعتقد ذلك .

فقالت الآنسة جيمسون :
ـ انني اتساءل اذا كنت استطيع ان أرقص معك ذات مساء ؟ انني لا أتردد على الأندية كثيرا لأنه لايوجد بين من اعرفهم من يجيد الرقص ، وانني ارغب في الرقص معك .
فقال بينت :
ـ أعتقد ذلك .

***

دخلت باتريشيا غرفة عمتها دون أن تقرع الباب ، فنهضت السيدة موريير مذعورة ، ووضعت ثوبا على جسمها كما تفعل النساء

عادة ، وبعد أن استعادت رباطة جاشها هرعت الى الباب واغلقته فقالت باتريشيا :

ـ أنا يا عمتي .

والتقطت العمة انفاسها ، وراح صدرها يعلو ويهبط ثم قالت :

ـ لماذا لم تقرعي الباب ؟ يجب الا تدخلي غرفة بدون أن تقرعي بابها .

ـ ان بيت يقول انه يجب أن تدفعي له ثمن قبعته فقد تلفت بعد أن وطأتها بقدميك .

ـ ماذا تقولين ؟ .

ـ لقد وطأتها قدماك ، ويعتقد بيت وجيني انه يجب عليك أن تدفعي ثمنها أو أن تعرضي ذلك ... واعتقد انك لو عرضت عليه ثمنها فلن يأخذه .

ـ هل تعتقدين انه يجب علي أن افعل ذلك ؟ .

ـ نعم انهما يعتقدان ذلك ، انني أذكر لك ذلك لأنني وعدتهما واذا كنت لا تحبذين هذا العمل فلا تفعلي .

فقالت العمة بعد ان استردت أنفاسها تماما .

ـ لقد استضفت واطعمت هؤلاء الناس اسبوعا ، واعتقد انني غير مطالبة بتوفير الملابس لهم .

***

قال فيرتشايلد :

ـ ان الجرأة هي الوسيلة الوحيدة لاجتذاب الجنس اللطيف ، أليس كذلك يا كابتن ؟ .

فقال الكابتن :

ـ بلى انها الجرأة ، عاملهن بشدة وعنف .

ـ هذا كلام صحيح ، انك اذا سنحت لك فرصة الحب ولم تغتنم الفرصة فان فتاتك ستتحول عنك لأول رجل يقابلها بدون تردد .

الساعة الثانية عشرة

لم يبق احد فوق سطح اليخت ، وراح فيرتشايلد والكابتن ايرس ينظران حولهما بدهشة ، ثم قررا وضع اسطوانة فى جهاز البيك آب لكى يصحوا الجميع .

وقام الرجل السامى بادارة جهاز البيك آب وجال فيرتشايلد مع الكابتن فوق سطح اليخت .

وسارت السيدة مورين مع القبطان نحو غرفة المستر فيرتشايلد وقالت له :

ــ افتح هذه النافذة .

ودخل ضوء لقمر الغرفة فامتلأت بخيوط فضية اشبه بالرخام .

***

وقف مستر فيرتشايلد على سطح اليخت ، وراح الهواء يداعب شعره ، ويلفح وجهه ، وسطع القمر والنجوم .

وكانت النجوم لا تبالى باليأس الذى ارتسمت اماراته على وجه المستر تاليافيرو أو تهتم باليأس الذى يأكل فؤاده .

فلقد شاهدت الكواكب الكثير من التردد والدهشة الانسانية ، ولذلك فهى لا تهتم بأن يتزوج مستر تاليافيرو مرة أخرى أو يقع فى غرام جديد .

ثم ارتفع صوت اليخت ، فدبت الحركة فى اليخت .

**

وقف فيرتشايلد يقول :

ــ ما هذا ؟

فقال الكابتن ايرس :

ــ عم تسأل ؟

ووقف الاثنان ينظران فقال فيرتشايلد :

ــ لقد سمعت شيئا « ينط » فى الماء ثم تطلع الى الماء وتبعه الكابتن ايرس ولكن الماء كان ساكنا لا يتحرك .

وكان الليل هادئا .

فقال الكابتن ايرس :
ـ اعتقد أن احدا القى قاذورات في الماء.
ثم انصرف الاثنان .
وسمعا صوتا آخر . وواصل اليخت سيره .

***

((خاتمة))

ـ ١ ـ

اختلف شكل ثوب جيني الاخضر بعد غسله في مياه البحيرة، فقد اصبح قصيرا من ناحية واصبح طويلا من ناحية أخرى .

ولكن جيني لم تكن ترى ذلك عندما وقفت في الشارع تنتظر حضور السيارة وراحت تنظر الى قبعة بينت .

وجاءت السيارة وركبت واعطت السائق العنوان والأجرة في حين احتشد عدد من الرجال والشبان وراحوا ينظرون اليها بلهفة وشوق .

وجلست جيني الى جانب رجل بدين امسك بصحيفة يطالعها ، فنظر اليها ثم عاد الى صحيفته .

وسارت السيارة بسرعة فائقة،فأثارت فزع الناس في الشارع، واخيرا وصلت الى محطة فنزلت وسارت بين المنازل حتى وصلت الى بوابة حديدية ، فدخلت منها وسارت في ممر غرست على جانبيه الزهور ، ثم عبرت الى المنزل .

وكان والدها يجلس في الشرفة يتناول عشاءه ، وما ان رآها حتى قال لها :

ـ أين كنت ؟.

فدخلت جيني المنزل ، وخلعت قبعتها وقالت :

ـ كنت في زورق .

فارتسم على سمات أبيها شيء من عدم الارتياح والغضب .

فقال أبوها :

ـ هل تعتقدين انك تستطيعين الذهاب على هذه الصورة ،دون أن تخطري احدا ، ثم تعودين الى المنزل ؟.

ولكنها امسكت به وقبلته ، ولم تسمح له بالكلام .

- ٢ -

لم يكن « بيت » وهو طفل يدرك الأمور ولكن اللافتة الكهربية التي تحمل اسم الأسرة تبين ان هذه الأسرة ارتفعت من لا شيء ، ومن مطعم صغير يقدم الطعام للعمال الايطاليين الى أسرة أمريكية كونت هي نفسها ثروتها .

وقد كنت في سنة ١٩١٩ تدخل غرفة صغيرة حيث يقدم اليك الطعام مع جمع من الايطاليين ، وربما جاءت السيدة « جنيوتا » العجوز نفسها لتقدم لك الحساء ، وتجتذب معك أطراف الحديث ، على حين كان المستر « جنيوتك » يقف الى مائدة يحدث أصدقاءه .

ولو تمهلت قليلا لاستطعت أن ترى « بيت » وهو يرتدي قميصا نظيفا ، وقد انسدلت خصلات شعره على وجهه وعينيه الذهبيتين وعمره ١٢ عاما مثل الأطفال الايطاليين .

ولكن الأمور قد تبدلت الآن ، فقد تحول المطعم الحقير الى « صالة » رقص كبيرة وانتشرت الموائد هنا وهناك .

وبدلا من الطعام الرخيص أصبح الطعام راقيا جيدا ، وأصبح الخدم ينتشرون في المكان .

وكانت هذه هي فكرة « جو » الذي يبلغ من العمر ٢٥ عاما وهو أمريكي الجنسية ، وكان مستر جينيوتا يخشى هذا التحول بسبب كبر سنه ولانه لم يعد في امكانه ان يلتقي برفاقه القدامى وسط الضحكات ورائحة الطعام ، فهو لا يعرف الخدم الآن وقد وضعت آلات الموسيقى والطبول هنا وهناك .

وكانت الضحكات النسائية ترتفع من جنبات المكان كما كانت رائحة الأكل والشراب تملأ الجو .

ورحل الأب الى العالم الآخر بعد ان أصبح ثريا وبرز اسمه وفاق اقرانه من الايطاليين .

وأما زوجته فقد اصيبت بفقدان حاسة السمع لديها ، وقد مرضت بعد ان ابتعد الاصدقاء عنها .

وأصبح اولادها امريكيين وامتنعت عن الاتصال بأحد .

وراحت تعد الطعام لابنائهـــا الذين كانوا نادرا ما يحضرون لتناول هذا الطعام .

واصبح لدى « جو » عدة سيارات ، وقد حاول اقنـــاع امه بركوب السيارة دون جدوى ، وقد راح يرضى امه بشتى الوسائل .

ولكن جو كان يقف فى المطعم ويشرف على تنظيمه وهو يشعر بالفخر والكبرياء .

وامسك جو بأوراق النقد بيده وراح ينظر الى بيت وهو يجتاز الغرفة وقال له جو :

ــ أين كنت ؟ .

فقال بيت :

ــ فى الريف ، هل هناك شىء فى الاكل ؟

فقال جو :

ــ تريد أن تأكل ! . يا للجحيم ! . اننى مضطر لأن أدفع اجر يومين لرجل عمل مكانك .. وأنت الآن تريد أن تأكل ! .

ولكن بيت لم يبال بما قاله اخوه جو .

وقال جو :

ــ هل تعتقد انك تستطيع ان تغادر هذا المكان ، وتبقى مـــدة طويلة بعيدا كما تريد ؟ هل تفكر انك تستطيع ان تعود بعد اسبوع ؟ هل هذا المكان لك ؟ .

وكانت السيدة العجوز تقف فى المطبخ ولم تتفوه ببنت شفة .

ولكنها كانت تعبر عن خوفها وعدم ارتياحها ، وكانت تنظر الى ولديها دون أن تحاول الكلام .

ودخل بيت الغرفة فوقف شقيقه بالبـــاب ، ثم أحضرت امه شيئا من الطعام ولكن أخاه وقف يحدق فى وجهه .

وقال جو :

ــ انهض من هنا كما قلت لك .. تعال الى هنا ، يمكنك ان تاكل عندما تعود .

ولكن الأم تدخلت بينهما دون أن تسمع ما يقولانه ، ثم قال بيت في النهاية :

- اسمع .

ولكنه لم يتمم حديثه ، وراح يلتهم الطعام ، وسمع صوت الباب يفتح ، وارتفع صوت سيدة راحت تحدث شقيقه ثم قالت لبيت :

- اين كنت ؟

فقال :

- مع بعض السيدات .

فقالت :

- مع أكثر من امرأة .

فقال :

- نعم خمس أو ست سيدات ، لقد استغرقت الرحلة طويلا .

فقالت الفتاة :

- أوه !

ولكنه لم يعرها اهتماما واستمر في تناول الطعام وقالت له :

- انظر الى قبعتك ، وامسح فمك .

وانتهى بيت من تناول الطعام ، وكان صوت الفتاة يصل الى مسامعه من الغرفة الأخرى ، فاشعل لفافة وخرج فقال له جو :

- هل انت ذاهب ؟

فقال :

- نعم .

فقال جو لأخيه :

- خذ السيارة ستديوبيكر .

فقال بيت :

- كلا ! . سآخذ عربتك الكريزلر .

فقال جو :

- عليك اللعنة ان فعلت ! . خذ السيارة الأخرى كما قلت لك إذا كنت لا تريد ذلك فاشتر سيارة لنفسك .

- ٣ -

استلقى فيرتشايلد فترة من الوقت قبل ان يدرك ان الزورق يتحرك . وكانت الساعة الحادية عشرة ولم تكن هناك أصوات ، ولكن ظهر أن في الأفق شيئا ما لا يدري ما هو .

وحاول ان يعرف هذا الشيء غير ان المحاولة زادت من شعوره بالتعب فأقلع عن المحاولات ، واستلقى من جديد .

وكان الرجل السامي يجلس الى جانبه .

وارسل فيرتشايلد زفرة طويلة بعد ذلك ، ثم نهض وسار عبر الكابينة وجرع جرعة ماء وشاهد اليابسة من بعد والأشجار .

وقال لنفسه :

ـ لابد انها مانديفل .

وحاول أن يوقظ الرجل السامي ولكنه مال بوجهه نحو الجدار ، وراح يبحث عن زجاجة ولكنه عثر على زجاجة فارغة فطلب قدحا من القهوة ، ثم توجه الى دورة المياه ، ووضع راسه تحت صنبور الماء ثم عاد وارتدى ملابسه .

وسمع صوت تنفس مسموع في غرفة الكابتن ايرس ، فاغلق فيرتشايلد باب الغرفة وذهب ، وكان الصالون خاليا ، فشعر فيرتشايلد بشيء من الضيق ولم يكن هناك أحد سوى الكابتن ايرس والرجل السامي وكانا نائمين فصعد الى سطح اليخت وراح فيرتشايلد ينظر الى الضوء فشاهد ثلاثة رجال يجلسون على حافة الزورق فبادرهم بالتحية :

ـ طاب صباحكم . ما اسم هذه المدينة ؟ مانديفل ؟ .

فقال الثلاثة :

ـ مانديفل ! مانديفل ؟ ماذا ؟ .

فقال لهم :

ـ ما اسم هذه المدينة اذن ؟ .

فجلس الرجال الثلاثة وراحوا ينظرون اليه ثم قال احدهم :

ـ يبدو كما لو أن رفاقك قد تركوك وذهبوا .

فقال فيرتشايلد :

ـ يبدو أن هذا قد حدث ، هل قالوا انهم سيرسلون عربة لنا ؟ »

فقال الرجل :

ـ لا .. لن يرسلوا سيارة اليوم »

ففرك فيرتشايلد عينيه ، وادرك أن محدثه هو القبطان الذى ما لبث أن قال :

ـ ان الترولى هناك »

ـ ٤ ـ

وكان الوعد مع الكابتن أيرس فى الساعة الثالثة ، فهبط من المصعد فى ذلك الوقت وسار فى ممر طويل وسمع صوت آلة كاتبة .

ثم وصل الى الباب الذى يريده ودخل واعطى فتاة بطاقته وراح يتفرس فى وجهها ، ثم جلس فى الاستراحة ينظر عبر النافذة الى النهر .

وعادت الفتاة ، وقالت :

ـ ان مستر ريتشمان سيقابلك حالا »

وفتحت للكابتن ايرس الباب .

وصافحه مستر ريتشمان وقدم له مقعدا وسيجارا ، وراح يسأله عن انطباعاته فى نيو أورليانز قتلا للوقت بالحديث .

ـ ٥ ـ

جلس فيرتشايلد وامسك بيده سيجارا ووقف فى الشرفة ، وراح ينظر الى الظلام ، والكاتدرائية المجاورة .

وكان الترولى يجتاز شارع رويال ، وكان هذا قلما يحدث ، وعندما اختفى الترولى لم يسمع صوت الآلة الكاتبة »

ثم رأى مستر تاليافيرو عند منعطف الممر وقد ارتسمت على وجهه امارات الخوف ، فدخل الغرفة مسرعا وتظاهر بالنوم .

وسار تاليافيرو يلوح بعصاه وأخذ فيرتشايلد يفكر ويحدث نفسه قائلا :

ـ انها الفرصة ، هي أهم من كل شيء ! . وان عدم المبالاة من الوسائل الهامة في اجتذاب قلوب الجنس اللطيف .

وصعد تاليافيرو سلما مظلما وسمعه فيرتشايلد يتعثر في الظلام ، ثم جاء تاليافيرو وهتف باسمه ...

فقال فيرتشايلد بارتياح :

ـ لقد كنت على وشك الانصراف لأنى ضللت الطريق غير أن رجلا سمح لى بأن أعبر المكان الى هنا .

ـ هل كنت نائما ؟ . آسف لازعاجك ؟ . ولكنى أريد نصيحتك لأننى لم أرك منذ صباح اليوم .

ووضع تاليافيرو قبعته وعصاه على المنضدة وراح يحدق في وجه صاحبه وقد ارتسمت على وجهه امارات الذعر .

فقال فيرتشايلد :

ـ ماذا بك ؟ .

فقال تاليافيرو :

ـ أنا ؟ .. لا شيء ! . لا شيء أبدا ، يا عزيزى ، لماذا تسأل ؟ .

فقال فيرتشايلد :

ـ يبدو انك تريد أن تقول شيئا .

وضحك تاليافيرو ضحكة مصطنعة وقال :

ـ انك تتخيل أشياء ، وانى أطلب منك النصيحة ، أتذكر حديثنا على اليخت ؟ .

وراح فيرتشايلد يحدق في وجه صاحبه ثم قال :

ـ حسنا ! . اننى لا أذكر شيئا من حديثنا .

فقال تاليافيرو متفائلا :

ـ آه ... اننى أعتقد اننى كشفت سر النجاح مع الجنس اللطيف ، مهد السبيل قبل الالتقاء بهن ، اظهر عدم المبالاة بهن ، كن جريئا ، سأستخدم هذه الحيلة الليلة ، ولكنى أريد نصيحتك .

فمال فيرتشايلد الى الوراء قليلا وقال تاليافيرو :
ـ سأجعل صديقتي تشعر بالغيرة بأن أتحدث عن امرأة أخرى بعبارات رقيقة ، انها من غير شك تريد أن ترقص ولكنى سأتظاهر بعدم المبالاة .
فقال فيرتشايلد :
ـ حسنا .
فقال تاليافيرو :
ـ سنذهب ونرقص وأوهمها بأنى أفكر في امرأة أخرى . ومن الطبيعي أنها ستسألنى فى ماذا أفكر .. فسأقول : لماذا تريدين أن تعرفى ؟ .
ولكنها سترجونى من جديد وأقول لها سأخبرك بما تفكرين فيه ، فترد على ماذا ؟ ! . فأقول لها : انك تهتمين بى ، فما رأيك فى هذا كله وماذا ستقول لى ..
فقال فيرتشايلد :
ـ ربما تقول لك ان رأسك مضطرب .
فتدلى وجه تاليافيرو وقال :
ـ هل تعتقد انها ستقول ذلك ؟ .
فقال :
ـ سترى هذا انت نفسك ! .
فقال تاليافيرو :
ـ كلا . لا أعتقد ذلك ، اننى أتخيل انها ستعتقد اننى أعرف نساء كثيرات .. هل تعتقد ان الخطة ستنجح ؟ .
فقال فيرتشايلد :
ـ بالتأكيد على شرط ان توفق فى تنفيذ الخطة وان تستجيب هى والا تصفعك .
فقال تاليافيرو :
ـ انك تجتذبنى ، الا تعتقد أن الخطة ستنجح ، انها الوسيلة الوحيدة لكسب المعارك ، وقد علمنا نابليون ذلك .
فقال فيرتشايلد :

ـ أن نابليون قال الكثير عن المدفعية الثقيلة ، أرى انك فكرت في كل شيء .

فابتسم تاليافيرو بارتياح وقال :

ـ هذا صحيح .

فقال فيرتشايلد :

ـ هل ستحاول استخدام هذه الخطة الليلة ام انك تضعها فقط ؟ .

فأخرج تاليافيرو ساعته ونظر اليها وهتف قائلا :

ـ يا للسماء ! . يجب أن أذهب .

ثم نهض مسرعا وقال :

ـ شكرا لنصيحتك واعتقد انني توصلت الى الحل ، أليس كذلك ؟ .

فقال فيرتشايلد :

ـ هذا صحيح .

وتصافح الاثنان وقال له تاليافيرو :

ـ تمن لي حظا سعيدا ، انك لن تذكر حديثنا لأحد .

فقال فيرتشايلد :

ـ بالتأكيد ، بالتأكيد .

واغلق تاليافيرو الباب ونزل ، ولكنه تعثر مرة أخرى ، ثم وصل الى الشارع ، ونهض فيرتشايلد ووقف على الشرفة وراح يراقبه .

ثم استلقى مرة أخرى ونهض .

فقال له الرجل السامي :

ـ الى أين أنت ذاهب ؟ .

فقال فيرتشايلد :

ـ لست أدري ! . الى مكان ما .

ـ ٦ ـ

تثاءبت باتريشيا عدة مرات وادركت أن شقيقها على وشك مغادرة المائدة ، فنهضت ايضا وقالت للمستر مارك :

ـ حسنا لقد سررت لأنني تعرفت بك !. وربما تعود الى هنا في الصيف القادم وستقوم برحلة مرة أخرى اليس كذلك ؟.

فقالت العمة :

ـ اجلسي يا تريشيا ...

فقالت باتريشيا :

ـ انى آسفة يا عمتى ، ولكن جوشن يريد أن ارافقه الليلة فهو ذاهب غدا .

فقال مارك :

ـ ألست ذاهبة غدا أيضا ؟.

فقالت باتريشيا :

ـ نعم .. فهذه هى آخر ليلة نقضيها هنا ! .. وجوشن يريد أن .. ..

فقـال جوشن :

ـ لست إنا ـ يمكنك الا تذهبى معى ؟.

فقالت باتريشيا :

ـ حسنا ! .. اعتقد انه من الأفضل ذلك ؟ على أية حال ...

فقالت العمة :

ـ باتريشيا !.

ولكن الفتاة تجاهلت كلام عمتها ونهضت وصافحت المستر مارك بشدة قبل أن ينهض واقفا وقالت :

ـ الى اللقاء !. حتى الصيف القادم !.

وقالت العمة :

ـ باتريشيا .

وقالت الفتاة :

ـ طاب مساؤك يا عمتى ؟.

وذهب جوشن الى السلم ، فأسرعت خلفه ؟ وتركت عمتها تناديها ، من غرفة الطعام ؟ ووصلت الى السلم فى الوقت المناسب لتجد باب غرفته يغلق خلفه .

وعندما حاولت أن تفتح الباب ؟ وجدته موصدا ، فعادت الى

غرفتها . وخلعت ملابسها فى الظلام ، واستلقت على فراشها ، وسمعت صوته بعد لحظات وهو فى غرفة الحمام .

وعندما انقطعت تلك الأصوات ، نهضت باتريشيا ودخلت الحمام بهدوء ، واضاءت المصباح ، وفتحت صنبور الماء ، فامتلا الحوض ، ثم أخذت فى الاستحمام .

وبعد أن فرغت من الاستحمام عادت الى غرفتها وارتدت ملابس النوم ، ثم ذهبت حافية القدمين ووقفت عند باب غرفة شقيقها لتسمع الى ما يجرى فى داخلها .

وقالت بعد أن عرفت أن الباب غير موصد :

ـ اسمع يا جوشن

وفتحت الباب وقالت :

ـ اننى قادمة . فلن تسمح لى بذلك .

وكانت الغرفة تسبح فى ظلام دامس ، فلم تميز شكل أخيها على الفراش ، ثم جلست قربه ، فقال لها :

ـ ماذا تريدين . ولماذا حضرت الى هنا ؟! اخرجى من هنا !. أريد أن أنام .

فقالت :

ـ دعنى امكث قليلا ، فلن أزعجك ...

فقال :

ـ أريد النوم ! . اخرجى الآن .

فقالت متوسلة :

ـ لحظة بسيطة . سأجلس ساكنة .

فقال :

ـ انك لن تجلسى صامتة .. اخرجى الآن ...

فقالت :

ـ أقسم اننى سأظل صامتة ...

فقال :

ـ حسنا ..

فقالت :

ـ اننى مسرورة لأن اسافر معك ، اننى أحب السفر فى القطار وسنرى الجبال ، يا لها من جميلة ! .

فقال أخوها :
ـ لا توجد جبال بين هنا وشيكاغو ، اصمتي .
فقالت :
ـ توجد جبال ، لقد شاهدتها .
فقال :
ـ لقد كان ذلك في فرجينيا وتنيسي ، اننا لن نذهب من فرجينيا الى شيكاغو .

فقالت :
ـ لقد ذهبنا من تنيسي .
فقال :
ـ اصمتي ، اذهبي من هنا الى غرفتك .
فقالت :
ـ لا .. أرجوك .. سأصمت ، لا تكن منزعجا .
فقال وقد ضاق صدره :
ـ اخرجي الآن .
فقالت :
ـ لن أتكلم ..
فقال :
ـ اخرجي حالا ..
فقالت :
ـ لحظة أخرى وسأذهب أرجوك .
فقال :
ـ حسنا ! . اسرعي أذن .
ومالت فوق رأسه وعضت أذنه ، فقال :
ـ أذهبي الآن .

ونهضت باتريشيا وعادت الى غرفتها التي بدت لها خانقة ، فخلعت ملابسها ، وعادت الى الفراش .

وراحت تحدق في الظلام ، وتحدث نفسها عن رحلة الغد ، وكيف سترى الجبال والمدن .

قال الرجل السامى :

ـ انها من أهل الشمال ، وقد تزوجت ولا بد أن زوجها كان متقدما فى السن عندما تزوجها »

فقال فيرتشايلد :

ـ ماذا تعنى بهذا القول ؟»

فقال الرجل السامى :

ـ إن أسرتها أرغمتها على الزواج من مورين العجوز وقد اختفى عام ١٨٦٣ ، وعندما انتهت الحرب عاد على جواد وسرج تابع لفرسان الجيش الاتحادى ومعه مائه الف دولار »

ولا أحد يدرى من أين حصل على هذا المبلغ »

ولكنه استطاع أن يقف على قدميه من جديد »

ولم يقم مورين باظهار نفسه للآخرين الذين اعتقدوا انه جبان من الناحية الأدبية وانه كان يخفى النقود فى مكان »

ثم انتشرت شائعة حول عقد عدة صفقات لبيع الأراضى وحصل على ثروة واسم خلال تلك السنوات التى أعقبت تولى الجنرال بتلر القيادة المحلية »

وعندما انجلت السحب تضاعفت ثروته بحيث لم تؤثر عليها الشائعات أبدا وبعد عشر سنوات أصبح من أصحاب الأراضى وكان شخصا ذكيا »

وتقول الرواية :

ـ ان أباها حضر الى نيو اورليانز فى رحلة للعمل مع توصية من واشنطن »

وكانت هى صغيرة الجسم حينئذ واعتقدت أن أباها حضر الى الجنوب فى مهمة من الحكومة »

ويبدو ان الأسرة وجدت الجو ملائما فى الجنوب ، وقد احبت الفتاة شابا مفلسا »

ولم يكن الاشراف قد قبلوا مورين العجوز بينهم بالرغم من انه حاول ذلك ولكن لا يمكن أن يتجاهل المرء النقود »

وهذا ما حدث بالنسبة لهؤلاء الناس »

وكانت السيدة موريز تقوم بالاشراف على اعمالها وحفلاتها ، وكانت جميلة كما يقولون ، ورسم الفنانون عدة صور لها وضعوها في المعارض واقبل جوردن وتدخل في الحديث قائلا :

ـ لابد ان الامر كان شاقا بالنسبة اليها .. ولكن النساء يجابهن كل شيء !.

فقال فيرتشايلد :

ـ ويتمتعن به ! ولكن كيف عرفت كل هذا ؟ .

فقال السامي :

ـ لقد كان يوليوس كوفمان جدي ! ..

فقال فيرتشايلد :

ـ انه لجميل منك أن تخبرني بذلك ، وكنت لا اطمع في أن أعرفه .

فقال السامي :

ـ كلا ! ستعرفه في يوم من الايام .

ووقف فيرتشايلد أمام التمثال الذي صنعه جوردن وقال :

ـ انه رائع ، لابد انك تتمنى له ان يتكلم ! لعلك تتمنى أن تراه في صبيحة أحد أيام شهر يوليو وهو يستحم في حوض مياه حيث الأشجار .. ربما كانت هذه هي الطريقة الوحيدة لكي تنسى أحزانك ..

فقال جوردن :

ـ انه لفتاة ليست شقراء ! . انها سوداء جميلة اكثر من النار الملتهبة ..

ثم كف عن الكلام وامسك بزجاجة الشراب والقى بها في الموقد .

فقال فيرتشايلد :

ـ لا تفعل هكذا !.

فقال جوردن :

ـ إنسى الاحزان ، ان المعتوه هو الذي لا يشعر بالالم .

- ٨ -

وقف مارك فروست عند الناصية ثائرا ؟ وكان ضوء الشــارع يضيء المكان ، فيجعل له خيالا غير متكامل .

ووقف حائرا اذ انه فى ذلك المساء لم يستطع ان يذهب الى حفلة ففكر أن يعود الى المنزل ولكن الوقت كان مبكرا .

وكان مارك يعتمد على الناس الآخرين لتمضية وقته .

فقد تضايق من السيدة مورير وانتابه الذهول .

واذا كان المرء يمت بصلة الى الفن فعليه أن يتناول معها طعــام العشاء ولكن هذه الليلة قابلته السيدة مورير بفتور شـديد ، فلم تطلب منه البقاء أو الذهاب .

ربما كانت تعبة بعد الرحلة !.

ونسى كل شيء عن باتريشيا .

وجاءت الحافلة فركبها وذهب الى أقــرب حانوت ليستخدم التليفون واتصل بالآنسة جيمسون فطلبت منه الحضور .

وعندما وصل الى منزلها قالت له :

ـ لقد ذهب الجميع لقضاء نهاية الأسبوع .

فقال مارك :

ـ حسنا ! لست مستعدا لكى أتبادل أطراف الحـــــديث مع والدتك الليلة ! .

فقالت الآنسة جيمسون :

ـ وأنا كذلك !.

فقال :

ـ الآن أشعر بالارتياح .

فقالت له :

ـ اخدم نفسك ، فلا يوجد أحد هنا !.

فقال مارك :

ـ هذا رائع ! البيت كله من اجلك ! كم أنا سعيد لاننى غادرت اليخت اننى لن أذهب مرة أخرى .

فقالت جيمسون :

ـ لا تتحدث عن ذلك الزورق . أعتقد أن أحدا منا لن يذهب

مرة اخرى لقد تحدثت السيدة مورين صباح ذلك اليوم بطريقة لست ادرى كيف أصفها .

فقال مارك :

ـ هل ارسلت سيارة فيرتشايلد ويوليوس الرجل السامى ؟ .

فقالت :

ـ لا ! . لقد كان من الممكن أن يفرقا وما كان باستطاعتها أن تخطر البوليس .

واستأذنت الآنسة جيمسون من مستر مارك فى الغياب لحظة لقضاء بعض شأنها وجلس مارك فروسنت على المقعد وراح يدخن لفافة تلو الأخرى دون ان يتحرك حتى اتى على علبة اللفائف كلها ثم نهض .

ولاحظ مارك ان غياب جيمسون قد طال .

وعاد الى مكانه مرة أخرى ، ووقف وراح يدور فى الغرفة بحثا عن لفائف ولكنه لم يجد شيئا .

واخذ ينظر عبر النافذة ، وسمع الساعة تدق الثانية عشرة .

فهرع عبر الباب الى الشارع كيما يلحق بآخر « تروللى » .

ولكنه وجد سيارة الاوتوبيس ، وطلب منه سائق السيارة .. الصعود فركبها ..

- ٩ -

سار جوردن وفيرتشايلد والرجل السامى فى شوارع المدينة المظلمة وفوقهم السماء والليل والنجوم .

وكان الفصل ربيعا واشبه بغابة جميلة .

وسار فى الشارع نفسه ثلاثة رهبان .

وعند احد الأبواب وقفت جماعة من النساء ، تفوح منهن رائحة عطرة .

ولكن جوردن لم يعرهن اهتماما .

وتباطأ فيرتشايلد فى السير وكذلك السامى .

فضحكت امرأة ونادته .

ولكن السامى جذبه الى الأمام .

وقال فيرتشايلد :

ـ لا تقف وواصل السير .

وظهر في الشارع ثلاثة رهبان آخرون واسرعوا وراء الثلاثة السابقين ، كما ظهر متسول عند بوابة حجرية .

وارتفع من بعيد صوت فتاة غامض ، يدل على الحزن والشقاء، ثم عرج الثلاثة على شارع أكثر ظلاما .

وراح المتسول يغط في نومه على حين شاهد الجميع تمثالا ذا راس منحوت من خشب الأبنوس .

وقد التفت حوله بعض النسوة يرتدين جلود حيـــوانات وهن مقيدات بأصفاد ويتألمن معا .

وكان الليل حلوا وفي طياته كثير من الأسرار ويخفي كثيرا من الناس .

وكانت المراة التي لا راس لها تعبر عن ألم شـديد ، وعنـــدما اختلطت الأصوات بالظلال ارتفع صوت النساء المقيدات معبـرا عن الألم والشقاء .

وواصل الثلاثة سيرهم .

وتعثر فيرتشايلد فجأة وأوشك أن يسقط فساعده السامي على الوقوف الى الجدار وراح يحدق في الظلام .

وقال :

ـ ان العناصر المختلفة التي تؤلف هذا العالم هي الحب والحياة والموت والجنس والألم .

وبدا صوت القمر الخافت من بعيد .

ووقف الرهبان الثلاثة صــامتين على حين راحت الجرذان تتحسس جسد المتسول .

ـ ١٠ ـ

قال عامل الآلة الكاتبة وهو يظن ان أحدا يريد أن يوقظه من حلم لذيذ :

ـ أوه فيرتشايلد .

ثم سمع طرقة قوية على الجدار فقال :

ـ اللعنة . ادخل ! من اين جئت الم تمر من هنا منذ عشر دقائق يا عزيزى .

ـ ماذا بك ؟ هل أنت مريض ؟.

ووقف تاليافيرو بالباب ثم دخل وجلس فوق أحد المقـــاعد وقال :

ـ أسوأ من ذلك .

فقال فيرتشايلد :

ـ هل انت بحاجة الى طبيب أو الى أى شيء آخر ؟.

فقال تاليافيرو :

ـ لا .. ان الطبيب لا يستطيع مساعدتى .

فقال فيرتشايلد :

ـ اذن ماذا تريد ، اننى مشغول !.

فقال تاليافيرو :

ـ اعتقد أننى بحاجة الى الراحة عندك ، اذا كان هذا لا يزعجك لقد حدث لى شيء مخيف الليلة .

وذهب فيرتشايلد واحضر لتاليافيرو بعض الشراب .

فقال تاليافيرو :

ـ لقد حدث لى شيء مخيف ، لقد كانت فرصتى الاخيرة .

ثم انفجر باكيا وقال :

ـ ان الأمر يختلف ...

فقال فيرتشايلد :

ـ تكلم ! ماذا حدث ؟!

فقال تاليافيرو :

ـ دبرت الخطة ، وتظاهرت بعدم المبالاة ، وقلت ، اننى لا ابالى بالرقص الليلة فقالت تعال ، هل تعتقد اننى خرجت معك لأجلس فى حديقة .. وعندما حاولت ان أضع يدى حولها ...

فقال فيرتشايلد :

ـ حول من ؟.

فاجاب تاليافيرو :

ـ حولها ! ثم حاولت ان اقبلها .
فقال فيرتشايلد :
ـ أين حدث ذلك ؟ .
فقال تاليافيرو :

ـ في العربة ، فلم تكن لدى عربة خاصة ، وقد ابعدتني عنها ثم قمت لأرقص معها وكانت تميل برأسها هنا وهناك ونحن نرقص فقلت لها :

ـ في ماذا تفكرين ؟ .
فقالت :

ـ من ؟ . أنا ، في ماذا أفكر ؟ .
ثم شاهدتها تبتسم وتنظر خلفي .
فقلت لها :
ـ انك تفكرين في .
ـ أنا أفعل ذلك .
فقال فيرتشايلد :
ـ يا السماء .
فقال تاليافيرو :

ـ وقلت لها لقد سئمت المكان فترددت ولكنها وافقت وطلبت مني أن أذهب واستدعي عربة . واستدعيت عربة واعطيت السائق عشرة دولارات وانتظرتها لكي تحضر لتركب معي العربة وعدت الى المكان فلم أجدها وذهبت الى « صـالة » الرقص فلم اجدها في البداية ولكنني رايتها تراقص احد أصدقائها . ولم أدر ماذا أفعل ؟ .

ولوحت لها بيدي فطلبت مني أن انتظر حتى نهاية الرقصة ولم تحاول أن تنظر نحوي مرة أخرى .

واستبد بي الغضب وذهبت نحوها .
فقالت :

ـ آه ! لقد اعتقدت انك ذهبت فطلبت من هذا الرجل ان يذهب بي الى المنزل متفضلا مشكورا .

فقال الرجل :
ـ سأفعل هذا ؟».
فقلت :
ـ ومن هو ؟
فقالت :
ـ انه أحد معارفي ».
ونظر الى نظرة غضبي .. الا انني تجاهلته وقلت بحزم :
ـ هيا بنا يا آنسة ! ان السيارة في الانتظار ».
فقال الرجل الآخر :
ـ هل تريد أن تأخذ فتاتي ؟».
فقلت له :
ـ لقد حضرت معي ».
فقالت لي :
ـ اذهب ، انك تعبت من الرقص ، وانا لم اتعب بعد فسأبقى لارقص مع هذا الرجل اللطيف ».
طاب مساؤك ».
وعادت تبتسم ، وايقنت انهما يسخران مني ».
وقال ذلك الشخص :
ـ اذهب يا عزيزي وعد غدا ».
واردت أن أنهال ضربا عليه ولكنني تذكرت مركزي في المدينة واصدقائي ، فنظرت اليها وانصرفت ».
وعندما نزلت الى اسفل وجدت العربة قد انصرفت ».
فنظر فيرتشايلد الى مستر تاليافيرو نظرة صارمة وقال :
ـ اذهب الى الجحيم ، لقد جعلتني اشعر بالسأم ».
فقال تاليافيرو يائسا :
ـ ماذا سأفعل ؟».
فقال فيرتشايلد :
ـ اذهب لحالك !».

وقام الرجل بمرافقة تاليافيرو حتى الباب ، حيث وقف وراح ينظر الى الآلة الكاتبة .

وراحت قطة كانت في المكان تنظر اليه شزرا ، ثم فرت هاربة فسار في اثرها والشقاء والحسد يملآن قلبه .

وقال يحدث نفسه :

ـ إن الحب سهل بالنسبة الى القطط .

وتنهد وسار متكاسلا آسفا . وانطلق يجوب الشوارع حيث الظلام .. وقال :

ـ انني اتساءل عما اذا كانت تسخر مني ؟.

ربما كان ذلك لأن السن تقدمت بي ولكني أعرف الكثيرين يحصلون على رغباتهم بسهولة ، وهم يقولون ذلك وهو شيء لااملكه ، ولم يكن لدى ذات يوم .

واخذ تاليافيرو يستعرض مسالة الزواج من جديد على اساس انها الحل الرئيسي لمشكلته .

وأسرع الى البيت حيث خلع ملابسه وراح يقول :

ـ لابد أن يكون هناك شيء !... لقد افتقدت شيئا أقوله او أقوم بعمله !.

وراح يدهن نفسه بسائل له رائحة النعناع .

وقال :

ـ هل يجب أن أصبح عجوزا حتى أصل الى هذا الشيء ؟.

وذهب الى الحمام وملأ حوضا بمياه دافئة .

ثم ذهب الى المرآة وراح يمعن في النظر في وجهه فوجد ان وجهه ينم عن عمره الذي بلغ ثمانية وثلاثين عاما .

فاخذ يتنهد ويرسل الزفرات .

ثم وضع قدميه في الماء فشعر براحة .

وراح يقول :

ـ لقد كانت خطتي مدبرة ، فاين كان الخطأ ؟ . لقد اعترف فيرتشايلد بانها خطة محكمة ، دعني أفكر ، وحملق في صورة على الجدار لزوجته السابقة .. لماذا لم تنفذ الخطة مثلما قدرت . لقد

كنت لطيفا جدا معها .. لقد كنت أقيم الحفلات .. ونصبت نفسي خادما أمينا .. ان الطريقة هي معاملتهن بقسوة ! . والتسلط عليهن منذ البداية .. والا نسمح لهن باستخدام الالاعيب والخداع . ان الطريقة القديمة هي النادى . وهذا هو محك الشر ، وجففت تاليافيرو قدميه وقال :

ـ هذه هي الحيلة !

وقال وهو يحدث نفسه :

ـ فيرتشايلد .. انني آسفة لازعاجك . ولكنى توصلت اخيرا الى الطريقة .. لقد تعلمت ذلك بخطأ ارتكبته الليلة . وهو انني لم اكن جريئا . كنت أخشى أن تهرب معى .. اسمع . ساحضرها الى هنا ، ولن أقبل أى رفض او عذر . سأكون قاسيا عنيفا . ومتوحشا اذا لزم الأمر حتى تتوسل وتطلب حبى ! . فما رأيك في ذلك ؟ »

وارتفع من بعيد صوت نسائي يقول :

ـ عاملهن بقسوة أيها الولد الكبير ..!

« تمت »

الدار القومية للطباعة والنشر

الثقافة والإرشاد القومي

الدار القومية للطباعة والنشر

تعمل على تحقيق الثورة الثقافية التي دعا إليها الرئيس جمال عبد الناصر

القاهرة

مركز عالمي للإشعاع الثقافي

كتاب كل ست ساعات

مكتبات الدار

نيويورك	لندن
الجزائر	بيروت
طرابلس	بغداد
الخرطوم	الإسكندرية

القاهرة